الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٩٠ - ٢٥ مارس سنة ١٩٣٥ - السنة الثالثة

3 me Année, No. 90.

Lundi-25-3-1935

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

	ص
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع شركة الفجر

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــــدد ٩٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٠ ذو الحجة سنة ١٣٥٣ — ٢٥ مارس سنة ١٩٣٥ » السـنة الثالثة

فهرس العــــدد

وَرَدَ الربيــــع !

للدكتور عبد الوهاب عزام

دار الفلَك دورته ، وعاد سيرته ، فسرت فى أعصاب الأرض هزّة الحياة ، وتفجرت عروقها بالمياه ، وسالت قمم الجبال جداول وأنهارا ، واشتعلت الأرض أزهاراً وأشجارا

تبرجت بعد حياء وخفر   تثنى على الله بآلاء المطر

صرّحت الأرض بمكنونها ، وأبانت الحياة عن ضميرها ، فنبتت معانى الحياة والجمال ، فى ألفاظ من الأوراق والنوّار

باح الربيع بأسرار البساتين   وعطّر النفس أنفاس الرياحين

ونفخت أنفاس الربيع الحرّى الحياة فى كل ذرّة ، فأخرجت قواها أعشاباً وأزهاراً ، فرّقتها ألوان ، وألّفتها معان

لم يبق للأرض من سرّ تكاتمه   إلا وقد أظهرته بعد إخفاء
أبدت طرائف شتّى من زواهرها   حمراً وصفراً وكلٌّ نبت غبراء

أىّ مسرح للفكر ! وأى مجال للخيال ! وأى مَراد للطرف !

دنيا معاش للورى حتى إذا   جاء الربيع فانما هى منظر !

* * *

وفى أرجوانىّ من النور أحمر يشاب بإفرند من الروض أخضر
إذا ماالندى وافاه صبحاً تمايلت أعاليه من در نثير وجوهر
إذا قابلته الشمس رد ضياءها عليها صقال الأقحوان المنوّر

والطير مغرّدات كأن أصواتها ذوبُ هذه الألوان ، وكأن ألوان الروض جمدُ هذه الألحان . يهتز الطائر الغرّيد على الغصن الأملود فيقرأ ما تحته من صفحات الجمال ، كأنما الطير إبَر الحاكيات [1] تنطق بما تضمنت الصفحات من نغمات — والعصفور مرح تتداوله الأغصان ، وتتهاداه الأفنان ، تارة فى انتزاء ، بين الأرض والسماء ، وتارة تغيّبه الحديقة ، كأنه فى هذا الجمال فكرة دقيقة . صغير تملأ الهواء نغماته ، وضئيل تشغل الجو خفقاته

والفَرَاش قلِق بين النوّار ، هائم بين الأزهار ، لا يقرّ له قرار ، كأن كل فراشة زهرة طائرة ، أو قبلة بين الأزهار حائرة ، أو نغمة فى جمال الروض سائرة !

والشعراء ينافسون الطير على الأيك طرباً وتغريدا ، وفى المرج تسبيحاً وتحميدا . تنبجس فى جوانحهم ينابيع البيان ، وتتفتح سرائرهم عن أزهار الشعر . ففى كل قلب ربيع ، ومن كل قصيدة روض ، وفى كل معنى وردة ، وعلى كل قافية نغمة

هكذا تفيض الحياة على الجماد والنبات والحيوان ، وينتظم الجمال الخليقة والإنسان ، كأنما العالم كله فكرة واحدة ، أو قصيدة خالدة !

ذلكم الربيع الذى فتن الناس فافتنّوا فى وصفه ، والابانة عن محاسنه ، والاشادة بذكره ، والاحتفال بمقدمه . فاتخذته الأمم على اختلاف المذاهب عيداً ، ومجّدته بشتى الوسائل تمجيداً ، وأولع به الشعراء فى كل قبيل ، ولم يخل من المفتونين به جيل

والناس فى مصر فى ربيع دائم ، من أرضهم وسمائهم ، وزرعهم ونيلهم . فهم لايحسون مقدم الربيع إلا قليلاً . ولو أنهم عرفوا كلَب الشتاء ، وانجماد الهواء ، وقشعريرة الأرض ، وقسوة السماء ، ورأوا كيف تموت الطبيعة فى زمن ، وتلتف من الثلج فى كفن

وقد غاب فى الثلج الربيع وحسنه
كما اكتنّ فى بَيْض فِراخ الطواوِس

ثم شهدوا كيف يأتى الربيع فيكهرب كل ذرة ، ويفيض كل عين ثرّة ، ويخلق كل نضرة ، لاحتفوا بالربيع احتفاء غيرهم ، وعرفوا فيه النشور بعد الموت

على أن للربيع فى مصر دقائق يسرّ لها الانسان ، وشيات أبصرها الشعراء فى كل زمان

جاء الربيع فليت فى كل قلب من صفائه قطرة ، وفى كل نفس من جماله زهرة ، وفى كل خلق من عبيره نفحة ، لتعمر النفوس بمعانى الحياة ، وتستنير بأشعة الجمال ، ويسكن الناس الى السعادة حيناً ، وينسوا أساليب العداوة والبغضاء زمناً . وليت الناس جروا مع الحياة طَلَقَها ، ولم يفسدوا على الطبيعة خلقها ، فأنبت الربيع فى كل قسوة رحمة ، وفى كل يأس أملاً ، وفى كل حزن سروراً ، وفى كل ظلام نوراً ، ليتهم اجتمعوا على ورد الحياة متصافين ، كما ترف على جداول الربيع الرياحين

« ولكن الانسان قد حاول بادعائه وكبريائه أن يكون عالماً بذاته ، فكان نشوزاً فى نغم الكون ونفوراً فى نظام العالم ! فلو أنه اقتصد فى تصنعه وائتلف كما كان بالطبيعة ، لاتحد الآن مع الربيع فشعر بتدفق الحياة فى جسمه ، وإشراق الصفاء فى نفسه ، وانبثاق الحب فى قلبه ، وأحس أنه هو فى وقت واحد زهرة تفوح ، وخُضرة تروق ، وطائر يشدو ، وطلاقة تفيض على ما حولها البشر والبهجة ! [1] »

« وبعد فان لكل ظاهرة من ظواهر الطبيعة رسالة بليغة تؤديها الى النفوس الشاعرة والفطر السليمة ، فليت شعرى أية رسالة يحملها الربيع الى ذوى القلوب الواعية منا ؟

قابل أيها القارىء بين الشتاء والربيع ، بين رقدة الطبيعة ونهضتها ، وإن شئت فبين موتها ونشورها ، فستجد هذه الدورة على قصر أمرها قد تضمنت حكمة الحياة كلها . والى هذه الحقيقة يشير الربيع فى رسالته الى الناس ! [2] »

عبد الوهاب عزام

(١) الحاكيات ، جمع حاكية : الفنوغراف

(١) الزيات (٢) العبادى

بين خروفين

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

اجتمع ليلةَ الأضحى خروفان من أضاحي العيد، فتكلّما؛ فماذا يقولان؟

هذا هو الموضوع الذي استخرجه لي أصغرُ أولادي (الأستاذ) عبد الرحمن، وسألني أن أكتب فيه للرسالة، وهو أصغر قرائها سناً ترِفُّ عليه النَّسمةُ الثالثةَ عشرةَ من ربيع حياته — بارك الله لها فيها حاضرةً ومُقبلة

ولأستاذنا هذا كلمةٌ هي شعارُه الخاصُّ به في الحياة، يحفظُها لتحفظَه، فلا يميلُ عن مَدْرَجتها، ولا يخرج من معناها؛ وهي هذه الكلمةُ العربية: «كالفَرَس الكريم في مَيْمَةِ حُضره(١)، كلّما ذهب منه شَوْطٌ جاء شوط».

فهو يعلم من هذا أن كرم الأصل في كرم الفعل، ولا يُغني شيء منهما عن شيء؛ وأن الدمَ الحرَّ الكريمَ يكون مُضاعفَ القوّة بطبيعته، عظيمَ الأمل بهذه القوّة المضاعفة، نزّاعاً إلى السبق بمقدار أمله العظيم، مترفّعاً عن الضعف والهُوَينا بهذا النزوع، متميزاً في نبوغ عمله وإبداعه باجتماع هذه الخصال فيه على أتمّها وأحسنها. فمِن ثَمّ لا يَرى الحرُّ الكريم إلا أن يبلغَ الأمَدَ الأبعدَ في كل ما يحاوله، فلا يألو أن يبذلَ جهدَه إلى غاية الطاقة ومبلغ القدرة، مستمِداً قوةً بعد قوة، محقّقاً السحرَ القادر الذي في نفسه، متلقّياً منه وسائلَ الاعجاز في أعماله، مُرسِلاً في نبوغه من توهّج دمه أضواءً كأضواء النجم، تُثبتُ لكل ذي عينين أنه النجمُ لا شيءٌ آخر

ولما قدَّم إليّ (الأستاذ) موضوعَه في هذا الوزن المدرسيّ — وأظنه قد نزَعتْه حاجةٌ مدرسيةٌ إليه — قلتُ: حُباً وكرامة. وهأنذا أكتبه منبعثاً فيه «كالفرس الكريم في ميعة حُضره»... ولعل الأستاذ حين يقرؤه لا يُسوّدُ فيه علاماتٍ كثيرةً بقلمه الأحمر...!

***

اجتمع ليلة الأضحى خروفان من الأضاحي في دارنا: أما أحدُهما فكبْشٌ أقْرَنُ، يحملُ على رأسه من قرنيه العظيمين شجرةَ السنين، وقد انتهى سِمَنُه حتى ضاق جِلْدُه بلحمه، وسَحّ بدنُه بالشحم سحاً، فاذا تحرّكَ خلتَه سحابةً يضطربُ بعضها في بعض، ويهتزّ شيء منها في شيء؛ وله وافرةٌ(١) يجرها خلفه جزّاً، فاذا رأيتَها من بعيد حسبتَها حَمَلاً يتبع أباه؛ وهو أصْوَقُ، قد سَبَغَ صُوفُه واستكثفَ وترا كَمَ عليه؛ فاذا مشى تبَخْتَرَ فيه تبخترَ الغانية في حُلّتها، كأنما يشعر مثل شعورها أنه يلبسُ مَسرّاتِ جسمِه لا ثوبَ جسمه؛ وهو من اجتماع قوّته وجبرُوتِه أشبهُ بالقلعة يعلوها من هامته كالبرج الحربيّ فيه مِدفعان بارزان. وتراه أبداً مُصعراً خدّه كأنه أمير من الأبطال، إذا جلس حيث كان شعر أنه جالسٌ في أمره ونهيه، لا يَخرج أحدٌ من نهيه ولا أمره

وأما الآخر فهو جَذَعٌ في رأس الحوْل الأول من مَوْلده، لم يدْرِكْ بعدُ أن يُضحى، ولكن جيء به للقَرَم إلى لحمه الغَضّ؛ فالأول أُضْحيّةٌ وهذا أكولة؛ وذاك يتصدّقُ بلحمه كله على الفقراء، وهذا يُتصدق بثُلثيه ويبقى الثُلثُ طعاماً لأهل الدار

وكان في لِينه وتَرَجرُجه وظَرف تكوينه ومَرَح طبعه، كأنما يُصوِّر المرأةَ آنسة رقيقة مُتودّدة. أما ذاك الضخمُ العاتي المتجبّر الشامخُ، فهو صورة الرجل الوحشيّ أخرجته الغابة التي تخرج الأسدَ والحيّةَ وجذْعَ الدوحة الضخمة، وجملتْ فيه من كل شيء منها شيئاً يُخافُ ويتّقى

وكان الجذَعُ يَشْغُو لا ينقطع ثُغاؤُه، فقد أُخذ من قطيعه انتزاعاً فأحسّ الوحشةَ وتنبهتْ فيه غريزةُ الخوف من الذئب، فزادته إلى الوحشة قَلَقاً واضطرابا؛ وكان لا يستطيع أن ينْفلت، فهو كأنما يهربُ في الصوت ويعدو فيه عدْوا

أما الكبشُ فيرى مثلَ هذا مَسبّةً لقرنيه العظيمين، وهو إذا كان في القطيع كان كبشَه وحاميَه والمُقدَّمَ فيه، فيكون القطيعُ معه وفي كَنفِه ولا يكون هو عند نفسه مع القطيع؛ فاذا فقد جماعتَه لم يكن في منزلة المنتظر أن يَلحق

(١) هذا كما يقال بالعامية: في عز جريه

(١) ألية عظيمة ويقال كبش أليان اذا كان عظيم الألية

بغيره ليحتمى به فيقلق ويضطرب ، ولكنه فى منزلة المرتقب أن يلحق به غيره طلباً لحمايته وذماره ، فهو ساكن رابط الجأش مغتبط النفس ، كأنما يتصدق بالانتظار . . .

* * *

فلما أدبر النهار وأقبل الليل ، جيء للخروفين بالكلأ من هذا البرسيم يعتلفانه ، فأحس الكبش أن فى الكلأ شيئاً لم يدر ماهو ، وانقبضت نفسه لما كانت تنبسط إليه من قبل ، وعرته كآبة من روحه ، كأنما أدركت هذه الروح أنه آخر رزقه على الأرض ، فانكسر وظهر على وجهه معنى الذبح قبل أن يذبح ، وعاف أن يطعم ، ورجع كأول فطامه عن أمه لا يعرف كيف يأكل ، ولا يتناول من أكله إلا أدنى تناول

وكأنما جثم الظلام على شحمه ولحمه ؛ فانه متى ثقل الهم على نفس من الأنفس ثقل على ساعتها التى تكون فيها ، فتطول كآبتها ويطول وقتها جميعاً . فأراد الكبش أن يتفرج مما به ، وينفس عن صدره شيئاً ، وكان الصغير قد أنس إلى المكان والظلمة ، وأقبل يعتلف ويخضم الكلأ ، فقال له الكبش : أراك فارهاً يا ابن أخى ، كأنك لا تجد ما أجد ؛ إنى والله أعلم علماً لا تعلمه ، وإنى لأحس أن القدر طريقه علينا فى هذه الليلة ، فهو مصبحنا ما من ذلك بد

قال الصغير : أتعنى الذئب ؟

قال : ليته هو ، فأنا لك به لو أنه الذئب ؛ إن صوفى هذا درع من أظافره ، وهو كالشبكة ينشب فيها الظفر ولا يتخلص ، ومن قرنى هذين ترس ورمح ، فأنا واثق من إحراز نفسى فى قتاله ، ومن أحرز نفسه من عدوه فذاك قتل عدوه ، فان لم يقتله فقد غاظه بالهزيمة ، وذاك عند الأبطال فن من القتل . وهذا القرن الملتف الأعقد المذرب كالسنان ، لايكاد يراه الذئب حتى يعلم أنه حاطمة عظامه ، فيحدث له من الفزع ما تنحل به قوته ، فما يواثبنى إلا متخاذلاً ، ولا يقدم على إلا توهم الذئبية للخروفية ، فان أساس القوة والضعف كليهما فى النفوس والطبيعة ، غير أنه لايعلم أنى خرجت من الخروفية الى الجاموسية ... ! فما يعلمه ذلك إلا بقر بطنه أو التطويح به من فوق هذا القرن ، أقذفه قذفة عالية تلقيه من حالق ، فتدق عظامه وتحطم قوائمه !

قال الصغير : فماذا تخشى بعد الذئب ؟ إن كانت العصا فهى إنما تضرب منك الصوف لا الظهر

قال الكبش : ويحك ! وأى خروف يخشى العصا ؟ وهى إنما تكون عصا من يعلفه ويرعاه ، فهى تنزل عليه كما تنزل على ابن آدم أقدار ربه ، لاحطماً ولكن تأديباً أو إرشاداً أو تهويلاً ؛ ومن قبلها النعمة وتكون معها النعمة وتجيء بعدها النعمة ؛ أفبلغ الكفر منا ما يبلغ كفر الانسان بنعمة ربه ؛ إذا أنعم عليه أعرض ونأى بجانبه ، وإذا مسه الشر انطلق ذا صراخ عريض ؟

وكيف ترانى (ويحك) أخشى الذئب أو العصا ، وأنا من سلالة الكبش الأسدى ؟

قال الصغير : وما الكبش الأسدى ، وكيف علمت أنك من نجله ، ولا علم لى أنا إلا هـــذا الكلأ والعلف والماء ، والمراح والمغدى ؟

قال الكبش : لقد أدركت أمى وهى نعجة قحمة كبيرة ، وأدركت معها جدتى وقد أفرط عليها الكبر حتى ذهب فمها ، وأدركت معهما جدى وهو كبش هرم متقدد أعجف كأنه عظام مغطاة ، فمن هؤلاء أخذت ورويت وحفظت

حدثتنى أمى ، عن أبيها ، عن أبيه ، قالت : إن فخر جنسنا من الغنم يرجع الى كبش الفداء الذى فدى الله به اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ، وكان كبشاً أبيض أقرن أعين ، اسمه حرير

(قال) . واعلم يا ابن أخى أن مما انفردت أنا به من العلم فلم يدركه غيرى ، أن جدنا هذا كان مكسواً بالحرير لا بالصوف ، فلذلك سمى حريراً . . . (قالت أمى) : والمحفوظ عند علمائنا أن ذاك هو الكبش الذى قربه هابيل حين قتل أخاه لتتم البلية على هذه الأرض بدم الانسان والحيوان معاً (قالوا) : فتقبل منه وأرسل الكبش الى الجنة فبقى يرعى فيها حتى كان اليوم الذى هم فيه ابرهيم أن يذبح ابنه تحقيقاً لرؤيا النبوة ، وطاعة لما ابتلى به من ذلك الامتحان ، وليثبت أن المؤمن بالله إذا قوى إيمانه لم يجزع من أمر الله ولو جر السكين على عنق ابنه ، وهو إنما يجرها على ابنه وعلى قلبه !

(قالت) فهذا هو نخر جنسنا كله

أما نخر سُلالتى أنا ، فذاك ما حدثتنى به جدتى ، ترويه عن أبيها عن جدها ، وذاك حين توسمت فىّ مخايل البطولة ، ورجت أن أحفظ التاريخ . قالت : إن أصلنا من دمشق ، وإنه كان فى هذه المدينة رجل سَبّاع ، قد اتخذ شِبلَ أسدٍ فرباه وراضه حتى كبر ، وصار يطلب الخيل ، وتأذّى به الناس ، فقيل للأمير[1] : هذا السبُعُ قد آذى الناس ، والخيلُ تنفر منه وتجد من ريحه ريحَ الموت ، وهو ما زال رابضاً ليله ونهاره على سُدّة بالقرب من دارك . فأمر فجاء به السبّاعُ وأدخله الىَ القصر ، ثم أمر بخروف مما اتُّخذ فى مطبخه للذبح ، وأدخلوه الى قاعة ، وجاء السباع فأطلق الأسدعليه ، واجتمعوا يرون كيف يسطوبه ويفترسه

قالت جدتى : فحدّثنى أبى ، قال : حدّثنى جدك : أن السباع أطلق الأسد من ساجوره[2] وأرسله ، فكانت المعجزة التى لم يفزْ بها خروف ولم تؤثر قطُّ إلا عن جدنا ، فانه حسب الأسد خروفاً أجمّ لا قرون له ، ورأى دِقة خصره ، وضمور جنبيه ، ورأى له ذيلاً كالألية المُفرغةِ الميّتة ، فظنه من مهازيل الغنم التى قتلها الجدْب ، وكان هو شبعان ريّان ، فما كذّبَ أن حمل على الأســـد ونطحه ، فانهزم السبعُ مما أذهله من هذه المفاجأة ، وحسب جدّنا سَبُعاً قد زاده الله أسلحةً من قرنيه ، فاعتراه الخوف وأدبر لايلوى . وطمع جدُّنا فيه فاتّبعه ، وما زال يطارده وينطحه ، والأسد يفرُّ من وجهه ويدورحول البرْكة ، والقوم قد غلبهم الضحك ، والأمير ما يملك نفسه إعجاباً ونخراً بجدّنا فقال : هذا سبُعٌ لئيم ، خذوه فأخرجوه ، ثم اذبحوه ، ثم اسلخوه . فأخذ الأسد وذُبح ، وأعتق جدُّنا من الذبح ، وكان لنا فى تاريخ الدّنيا انسانها وحيوانها أمران عظيمان ، فجدُّنا الأول كان فداءً لابن نبىّ ، وجدنا الثانى كان الأسدُ فداءه !

***

(١) هذه القصة شهدها الأمير الأديب (أسامة بن منقذ) المتوفى سنة ٥٨٤ للهجرة ، وقصها فى كتابه (الاعتبار) ، والأمير المذكور فى القصة هو (معين الدين أنر) وزير شهاب الدين محمود . وقد تصرفنا فى عبارة القصة

(٢) الساجور : سلسلة الأسد والكلب ونحوها

قال الصغير للكبش : قلت : الذبح ، والفداء من الذبح ؛ فما الذبح ؟

قال الكبش : هذه السنّة الجارية بعد جدنا الأعظم ، وهى الباقية آخر الدهر ؛ فينبغى لكلٍّ منا أن يكون فداءً لابن آدم !

قال الصغير : أين آدم هذا الذى يخدمنا ويحتزُّ لنا الكلأ ، ويقدم لنا العلف ، ويمشى وراءنا فنسحبه الى هنا وههنا . . . ؟ تالله ما أظن الدنيا إلا قد انقلبت ، أوْ لا ، فأنتيا أخا جدّى . . . قد كبرتَ وخرفتَ !

قال الكبش : ويحك يا أبله ! متى تتحلل هذه العقدة التى فى عقلك ؟ انك لو علمت ما أعلم لما اطمأنت بك الأرض ، ولرجَمْتَ من القلق والاضطراب كحبة القمح فى غِربالٍ يهتزُّ وينتفض !

قال الصغير : أتمنى ذلك الغربال وذلك القمح وما كان فى القرية ، إذ تناولت ربةُ الدار غِربالها تنفض به قمحها ، فغافلتها ونطحتُ الغربالَ فانقلب عن يدها وانتثر الحب ، فأسرعتُ فيه التقاطاً حتى ملأتُ فمى قبل أن تُزيحنى المرأةُ عنه ؟

فهزّ الكبشُ رأسه فِعْلَ مَن يريدَ الابتسامَ ولايستطيعه ، وقال : أرأيتَ حانوتَ القصّاب ونحن نمرّ اليوم فى السوق ؟

قال : وما حانوت القصاب ؟

قال : أرأيتَ ذلك السّليخَ من الغنم البيضِ المُعلَّقة فى تلك الدّماليق لا جِلْدَ عليها ولا صوف وليس لها أرؤُسٌ ولا قوائم ؟

قال الصغير : وما ذاك السّليخ ؟ إنه إن صح ما حدّثتنى به عن أمك ، فهذه غنم الجنة ، تبيت ترعى هناك ثم تجىء إلى الأرض مع الصبح ، وإنى لمترقبٌ شمسَ الغد ، لأذهبَ فأراها وأملأ عينيَّ منها

قال : اسمع أيها الأبله ! إن شمس الغد ستشعر بها من تحتك لا من فوقك . . . ! لقد رأيتُ أخى مذ كنتُ جذَعاً مثلك ؛ ورأيت صاحبنا الذى كان يعلفُه ويُسمِّنُه ، قد أخذه ، فاضطجَعَهُ ، فجثم على صدره شرّاً من الذئب ، وجاء بشفرةٍ بيضاءَ لامعة ، فجرّها على حلقه ، فاذا دَمُه يَشْخَبُ ويتفجّر ، وجعل المسكين ينتفض ويَدْحَصُ برجله ، ثم سَكَنَ وبَرَد ؛

فقام الرجل فَفَصَلَ عنقه، ثم نخس فى جلده ونفخه حتى تطبّل ورجع كالقِربة التى رأيتها فى القرية مملوءة ماءً فحسبتها أمّك؛ ثم شقّ فيه شقاً طويلاً. ثم أدخل يده بين الجلد والصِّفاق، ثم كشطه وسحف الشحمَ عن جنبيه، فعاد المسكينُ أبيضَ لا جلد له ولا صوف عليه، ثم بقر بطنه وأخرج ما فيها، ثم حطم قوائمه، ثم شدّه فعلّقه فصار سليخاً كغنم الجنة التى زعمت! وهذا — أيها الأبله — هو الذبح والسلخ!

قال الصغير: وما الذى أحدث هذا كلّه؟

قال: الشفرةُ البيضاء التى يسمونها السكين!

قال الصغير: فقد كانت الشفرةُ عند حلقه حِيالَ فمه؛ فلماذا لم ينتزعها فيأكلها؟

قال الكبش: أيها الأبله الذى لا يعلم شيئاً ولا يحفظ شيئاً، لو كانت خضراء لأكلها!

قال: وما خطْبُ أن تجيء الشفرةُ على العنق، أفلم يكن الحبل فى عنقك أنت فجعلتَ تجاذب فيه الرجل حتى أعييته، ولولا أنى مشيت أمامك لما انقدتَ له؟

قال الكبش: ما أدرى والله كيف أفهمك أن هذا كلّه سيجرى عليك، فسترى أموراً تنكرها، فتعرفُ ما الذبح والسلخ، ثم تصير أشلاءً فى القدور تُضرَم عليها النار، فيأكلك ابن آدم كما تأكل أنت هذا الكلأ...!

قال الصغير: وماذا علىّ أن يأكلنى ابن آدم، ألا ترانى آكل العُشب، فهل سمعتَ عوداً منه يقول: الرجل والسكين، والذبح والسلخ...؟

قال الكبش فى نفسه: لعَمرى إن قوة الشباب فى الشباب أقوى من حكمة الشيوخ فى الشيوخ، وما نفعُ الحكمة إذا لم تكن إلا رأياً ليس له ما يُمضيه، كرأى الشيخ الفانى؛ يرى بعقله الصوابَ حين يكون جسمُه هو الخطأ مركّباً فى ضعفه غلطةً على غلطةٍ لا عضواً على عضو...؟ وهل الرأيُ الصحيحُ للعالَم الذى نعيش فيه إلا بالجسم الذى نعيش به؛ وما جدوى أن يعرفَ الكبيرُ حكمةَ الموت، وهو من الضعف بحيث تنكسر نفسُه للمرض الهيّن، فضلاً عن المرض المُعضِل، فضلاً عن المرض المُزمِن، فضلاً عن الموت بنفسه؛ وما خطرُ أن يجهلَ الشبابُ تلك الحكمة، وهو من قوة النفس بحيث لا يبالى الموتَ، فضلاً عن المرض؟

لو أُذِنَ الشابُّ من الفتيان بيوم انقطاع أجله، وعلم أنه مُصبِحُه أو مُمسيه، لأمدّته نفسُه بأرواح السنينَ الطويلة حتى ليرى أن صبح الغد كأنما يأتى من وراء ثلاثين أو أربعين سنة، فما يتبيّنه إلا كالفكر المنسىّ مضى عليه ثلاثون سنةً أو أربعون. ولو أُذِنَ الشيخُ بيوم مصرعه، وأيقن أن له مُهلةً إلى تمام الحول، لطار به الذُّعرُ واستفرغه الوَجَل من ساعته ورأى يومَه البعيدَ أقربَ إليه من الصبح، وابتلته طبيعةُ جسمه المختلّ بالوساوس الكثيرة، تجتلبها له كما تجتلبُ الرياحَ صُدُوعُ المنزل الخَرِب. فذاك بالشباب يقبض على الزمن، فيعيش فى اليوم القصير مثلَ العام رَخِياً ممدوداً، فهو رابطُ جَلْد؛ وهذا بالكِبَر يقبض الزمنُ عليه، فيعيش فى العام الطويل مثلَ اليوم متلاحقاً آخرُه بأوّله، فهو قلِقٌ طائر. ولا طبيعة للزمن إلا طبيعةُ الشعور به، ولا حقيقة للأيام إلا ما تضعه النفسُ فى الأيام

* * *

ثم إن الكبشَ نظر فرأى الصغير قد أخذته عينُه واستثقلَ نوماً، فقال: هنيئاً لمن كان فيه سرُّ الأيام الممدودة. إن هذا السر هو كسِرّ النبات الأخضر، لا يُقطَع من ناحية إلا ظهر من غيرها ساخراً هازئاً، قائلاً على المصائب: ها أنذا..

فهذا الصغير ينام ملءَ عينيه والشفرةُ محدودةٌ له، والذبح بعد ساعات قليلة؛ كأنما هو فى زمنين أحدهما من نفسه، فبه ينام، وبه يلهو، وبه يسخر من الزمن الآخر وما فيه وما يجلبه

إن الألم هو فهم الألم لا غير. فما أقبح علمَ العقل إذا لم يكن معه جهلُ النفس به وإنكارُها إياه. حَسْبُ العلم والعلماء فى السخرية بهم وبه هذه الحقيقةُ من النفس. أنا لو ناطحتُ كبشاً من قُرُوم الكباش، ووقفتُ أفكّر وأدبّر وأتأمل، وأعتبرُ شيئاً بشىء — ذهب فكرى بقوتى واسترخى عَصَبى وتحلّل غضبى كلّه وكان العلمُ وبالاً علىّ؛ فإن حاجتى حينئذ إلى الروح وقُواها وأسبابها أضعافُ حاجتى إلى العلم. والروح لا تعرف شيئاً اسمه الموتُ، ولا شيئاً اسمه الوَجَع؛ وإنما تعرف حظّها

من اليقين ، وهدوءَها بهذا الحظ ، واستقرارَها مؤمنةً مادامت هادئة مستيقنة

وقد والله صدق هـذا الجذعُ الصغير ؛ فما على أحدنا أن يأكله الانسان . وهل أكلُنا نحن هـذا العُشبَ ، وأكلُ الانسان إيانا ، وأكلُ الموتِ للانسان — هل كل ذلك إلا وضعٌ للخاتمة فى شكل من أشكالها ؟

يُشبهُ والله إن أنا احتججتُ على الذبح واغتممتُ له أن أكون كخروف أحمقَ لا عقل له ، فظنّ إطعامَ الانسان إياه من باب إطعامه ابنَه وابنتَه وامرأته ومن تجب عليه نفقتُه ! وهل أوجبَ نفقتى على الانسان إلا لحمى ؟ فاذا استحقّ له فلعمرى ما ينبغى لى أن أزعم أنه ظلمنى اللحمَ إلا إذا أقررتُ على نفسى بَديًا أنى أنا ظلمتُه العَلفَ وسرقتُه منه

كلُّ حىّ فانما هو شىء للحياة أعطيَتْها على شرطها ، وشرطُها أن تنتهى ؛ فسعادته فى أن يعرف هـذا ويقرّرَ نفسه عليه حتى يستيقنه كما يستيقنُ أن المطر أول فصل الكلأ الأخضر . فاذا فعل وأيقن واطمأن ، جاءت النهاية متممةً له لا ناقصة إياه ، وجرتْ مع العمر مجرى واحداً وكان قد عرفها وأعدّ لها . أما إذا حسب الحيُّ أنه شىء فى الحياة ، وقد أعطيَها على شرطه هو ، من توهّم الطمع فى البقاء والنعيم ، فكلُّ شقاء الحى فى وهمه ذاك وفى عمله على هـذا الوهم ؛ إذ لا تكون النهاية حينئذ فى مجيئها إلا كالعقوبة أُنزلتْ بالعمر كله ، وتجيء هادمةً منغّصة ، ويبلغ من تنكيدها أن تسبقها آلامُها ؛ فتؤلم قبل أن تجىء ، شراً مما تؤلم حين تجيء !

لقـد كان جدّى والله حكيماً يوم قال لى : إن الذى يعيش مترقباً النهايةَ يعيش مُعداً لها ؛ فان كان معداً لها عاش راضياً بها ، فان عاش راضياً بها كان عمرَه فى حاضرٍ مستمرّ ، كأنه فى ساعةٍ واحدة يشهد أولها ويُحس آخرَها ، فلا يستطيع الزمن أن ينغص عليـه ما دام ينقاد معه وينسجم فيه ، غيرَ محاول فى الليل أن يبعد الصبح ، ولا فى الصبح أن يبعد الليـل . قال لى جدّى : والانسانُ وحده هو التعس الذى يحاول طردَ نهايته ، فيشقى شقاءَ الكبش الأخرق الذى يريد أن يطرد الليل ، فيبيت ينطح الظلمةَ المُتدجيةَ على الأرض ، وهو لحمقه يظن أنه ينطح الليلَ بقرنيه ويزحزحُه . . . !

وكم قال لى ذلك الجد الحكيم وهو يعظنى : إن الحيوان منا إذا جمع على نفسه هماً واحداً صار بهذا الهم إنساناً تعساً شقياً ، يُعطى الحياةَ فيقلبها بنفسه على نفسه شيئاً كالموت ، أو موتاً بلا شيء . . . !

* * *

وتحرك الصغير من نومه ، فقال له الكبش : إنه ليقع فى قلبى أنك الساعة كنتَ فى شأنٍ عظيم ، فما بالك منتفخاً وأنت ههنا فى المنْحرَ لا فى المرعى !

قال الصغير : ياأخا جدّى . . . لقد تحققتُ أنك هرمتَ وخرفتَ ، وأصبحتَ تمجُّ اللعابَ والرأى . . . !

قال الكبش : فماذاك ويلك ؟

قال : إنك قلتَ : إن هذا الانسان غادٍ علينا بالشفرة البيضاء ، ووصفتَ الذبح والسلخ والأكل ؛ وأنا الساعة قد نمتُ فرأيتُ فيما أرى ، أننى نطحتُ ذلك الرجل الذى جاء بنا إلى هنا ، وهجتُ به حتى صرعتُه ، ثم إنى أخذتُ الشفرةَ بأسنانى ، فثملتُه فى نحره حتى ذبحته ، ثم افتلذتُ منه مُضغةً فلُكتُها فى فمى ؛ فما عرفت والله فيما عرفت لحماً ولا عفناً فى الكلأ هو أقبح مذاقاً منه !

إن الانسان يستطيب لحمنا ويتغذى بنا ويعيش علينا ؛ فما أسعدَنا أن نكونَ لغيرنا فائدةً وحياة ، وإذا كان الفناءُ سعادةً نعطيها من أنفسنا ، فهذا الفناءُ هو سعادةٌ نأخذها لأنفسنا . وما هلاكُ الحىّ لقاءَ منفعةٍ له أو منفعةٍ منه إلا انطلاقُ الحقيقة التى جملتْه حيّا ، صارت حرةً فانطلقت تعمل أفضلَ أعمالها

قال الكبير : لقد صدقتَ والله ، ونحن بهذا أعقلُ وأشرف من الانسان ؛ فانه يقضى العمر آخذاً لنفسه ، متكالباً على حظها ولا يعطى منها إلا بالقهر والغَلَبة والخوف . تعالَ أيها الذابح ، تعالَ خذ هذا اللحم وهذا الشحم ؛ تعالَ أيها الانسانُ لنعطيك ، تعالَ أيها الشحاذ ....!؟

طنطا مصطفى صادق الرافعى

مصر بين ثقافتين

الصراع القديم بين الانكليزية والفرنسية

وموقف مصر من ذلك الصراع

للأستاذ محمد عبد الله عنان

يعرف المتصلون بدوائر التعليم والثقافة فى مصر أن صراعاً قوياً يجرى بين الثقافتين الفرنسية والانكليزية ، تارة فى الجهر وتارة فى الخفاء . وقد كان تيار الثقافة الفرنسية هو الظافر حتى أواخر القرن الماضى ، وكان يغمر المجتمع المصرى المثقف ، فلما رسمت سياسة الاحتلال الانكليزية خطط الغزو المعنوى ، اهتمت بنظم التعليم والتربية ، وأخذت تعمل لتوجيهها بما يوطد نفوذ الثقافة الانكليزية ويطبع الجيل الجديد بحبها والتعلق بها ، فقلبت نظم التعليم ، وحلت الانكليزية مكان الفرنسية فى معظم المواد ، وتولى الأساتذة الانكليز مقاليد الادارة والتعليم فى معظم المعاهد ؛ وتحول سيل البعثات الحكومية من فرنسا إلى انكلترا ؛ ولم يمض ربع قرن حتى تم الانقلاب المنشود ، وأسبغت على سياسة التربية والتعليم فى مصر صبغتها الانكليزية المحضة ، وخرج الجيل الجديد من الشباب المتعلم يحمل تيار الثقافة الانكليزية ، وتضاءل نفوذ الثقافة الفرنسية وانحصر فى بعض الجهات والمعاهد الأجنبية التى تعمل على نشرها

كان هذا الصراع بين الثقافتين الأجنبيتين على حساب لغتنا العربية وثقافتنا القومية ، فلم تصب العربية خلاله حظاً يذكر من التقدم ، وأغفلت كل المثل والاعتبارات القومية من برامج التعليم والتربية ، وأوشك هذا الغزو الاستعمارى المعنوى أن يقضى على أرواحنا وعقولنا ، لولا أن وثبت البلاد وثبتها الوطنية فى سنة ١٩١٩ ، وتذرعت للمقاومة بما بقى لها من العناصر الحيوية الكامنة ، واستطاعت أن تحول السياسة الاستعمارية عما كانت تعتزمه من خطط الاستئثار الشنيع والقضاء على الحقوق والأمانى الوطنية نهائياً ، وأن تحرز بعض الغنم فى ميادين السيادة القومية . وكان التعليم أحد هذه الميادين ، فحررت نظمه وبرامجه من اغلالها القديمة نوعاً ، وأنصفت اللغة العربية وأخذت تتبوأ مكانها اللائق كلغة أساسية لتدريس المواد فى معظم المعاهد ومراحل التعليم ، وكان ذلك ظفراً حقيقياً للغة البلاد

ولكن هذا التطور فى ميدان التعليم والثقافة لم يحل دون استمرار المعركة القديمة بين الثقافتين الانكليزية والفرنسية ؛ فقد بقيت الفرنسية لغة اضافية فى التعليم الثانوى ، وضعف تيار الانكليزية بما أتيح للعربية من مجال قوى للعمل والمنافسة ؛ وظهر الضعف فى الانكليزية بين الطلبة قوياً ، وأخذ نفوذ الثقافة الانكليزية الذى كان متمكناً منذ عشرة أعوام فقط ، يتضاءل بسرعة ؛ واهتم الانكليز لهذه الظاهرة ؛ وبحث ولاة الأمر فى أسباب ضعف الطلبة فى اللغة الأجنبية الأساسية أعني الانكليزية ، وتضاربت فيه الآراء الفنية والعملية ؛ أما نحن فلنا فيه رأى لا نرى بأساً من إبدائه ، وهو أن هذا الضعف لا يرجع فقط إلى قصور الجيل الجديد من الأساتذة الانكليز ، ولكنه يرجع بالأخص الى عوامل قومية ، خلاصتها أن الخصومة القائمة بين مصر وانكلترا تحمل الطالب المصرى الذى أشربت نفسه بمبادىء الوطنية على نوع من الأسف والغضاضة لتلقى لغة الأمة الخصيمة على يد بعض أبنائها ، وأن الاساتذة الانكليز لا يؤدون مهمتهم فى المعاهد المصرية كأساتذة فقط ، ولكنهم رسل استعمار وسيادة أجنبية ، ينظرون إلى الطلبة نظرة السادة إلى الرعايا والمحكومين ، وفى أقوالهم وإشاراتهم دائماً ما يجرح شعور العزة القومية فى هذه النفوس الغضة ويزهدها فى بضاعة هؤلاء الأساتذة المتكبرين ، ولو قام بتدريس الانكليزية أساتذة مصريون ممن تخصصوا فى دراستها ، لكان ذلك أجدى وأنفع ، ولزال كثير من أسباب هذه الشكوى

ولسنا نقف طويلاً بهذه النقطة ، وهى ثانوية فى نظرنا ؛ ولكنا نريد أن نعرض الى ما هو أهم من أطوار هذه المعركة المستمرة بين الثقافتين الانكليزية والفرنسية ؛ فقد طلب ولاة الأمر فى وزارة المعارف أخيراً الى بعض الأساتذة الانكليز أن يبدوا رأيهم فى سبب ضعف الطلبة فى اللغة الانكليزية ، فصرحوا فى تقريرهم الذى رفعوه الى وزير المعارف بأن من أهم أسباب هذا الضعف فى نظرهم هو اشتغال الطلبة بدراسة لغة أجنبية إضافية هى الفرنسية الى جانب اللغة الأجنبية الأصلية وهى

الانكليزية ، وانه يجب إلغاء تدريس اللغة الفرنسية من التعليم الثانوى اذا أريد أن يتفرغ الطلبة لدراسة الانكليزية وأن تقوى مادتهم فيها . وقد كان إبداء هذا الرأى مثاراً لكثير من الجدل ، ولا سيما من جانب الأساتذة الفرنسيين ومحبي الثقافة الفرنسية وأنصارها ، فأخذوا يفندون رأى أساتذة الانكليز ويدللون على أهمية الثقافة الفرنسية بالنسبة لمصر ووجوب تفضيلها على أية ثقافة أجنبية أخرى

وموقف الأساتذة الانكليز من اللغة الفرنسية طبيعى معقول ، وسواء أكان رأيهم فنياً مجرداً عن كل اعتبار أدبى آخر ، أم كان مغرضاً موحى به ، فلا ريب أنه يمثل ناحية من نواحى هذه المعركة الخالدة بين الثقافتين الأجنبيتين اللتين تتنازعان النفوذ فى مصر منذ نصف قرن . ويلوح لنا أنه من جهة أخرى رأى عملى سليم من الوجهة الفنية اذا جرد عما قد يكون وراءه من الاعتبارات والعوامل ؛ فالطالب اذا تفرغ لدرس لغة أجنبية واحدة دون أن تزعجه لغة أجنبية إضافية أخرى ، يستطيع أن يحرز فى هذه اللغة شيئاً من التقدم . وما دام أن ظروفاً سياسية خاصة تقضى بأن تكون الانكليزية هى اللغة الأجنبية الأساسية فى مصر الى جانب اللغة العربية ، وما دام أن مصر لا تستطيع فى الوقت الحاضر أن تقرر اختيارها حراً مطلقاً ، فلا مناص من أن نصدع بالأمر الواقع ، وأن نبحث المسألة على ضوء هذه الحقيقة

الانكليزية هى اللغة الأجنبية الأساسية التى تقررت فى نظام تعليمنا . ومن المسلم به أن تعليم اللغات الأجنبية الحية عنصر جوهرى من عناصر الثقافة الناضجة ، وفى جميع الأمم العظيمة التى تتمتع بحضارة رفيعة ، تعلم لغة أجنبية أو أكثر الى جانب اللغة القومية ؛ وهذا ما تفعله مصر بتعليم الانكليزية . ومن المحقق أن الانكليزية فى مقدمة لغات الأرض انتشاراً وأهمية ، وأن الثقافة والآداب الانكليزية فى طليعة الثقافات والآداب العالية الرفيعة . ولكن من سوء الطالع ، أن تكون الانكليزية فى مصر الى جانب هذه الاعتبارات العلمية ، أداة للنفوذ الاستعمارى ؛ ومن مصائب مصر أنها ما زالت مسرحاً للمنافسات الأجنبية ؛ الثقافة الفرنسية أو بعبارة أخرى الثقافة اللاتينية ، والثقافة الانجلوسكسونية ، واللغة الألمانية ، واللغة الايطالية ، كل تحتل مقامها فى هذه البلاد ، وكل تحاول أن تدعم نفوذها وأن تزيده بطريق المدارس والبعثات الدينية والمؤسسات الخيرية المقنعة ، وكل تدعى لأبنائها بعض الادارات والمناصب الفنية فى الحكومة المصرية قياسا على الماضى كأن الزمن لم يتغير ، ولم تحرز مصر تقدما ، ولم تجش بأمنية التحرر من هذه الوصايات الخطرة

فى هذا المعترك تتخبط مصر ؛ وإزاء هذه الجبهة المشتركة من الثقافات واللغات الأجنبية المتنافسة فى غزو عقولنا وأرواحنا تقف اللغة العربية وحيدة فى الميدان . وقد أنصفت اللغة العربية فى العهد الأخير نوعاً كما قدمنا ، ولكنها ما زالت فى حاجة إلى انصاف أتم وأوفى ؛ وهى اليوم بلا ريب أقوى وأشد كفاحاً ومقاومة ، وقد أتيح لها أخيراً أن تدلل على حيويتها المدهشة باستعمالها فى تدريس كثير من مواد الدراسات العالية التى كانت تغلق قبلاً دونها بحجة قدمها وقصورها . غير أن العربية ما زالت فى معاهدها الرسمية عرضة لمنافسة قوية من اللغتين الانكليزية والفرنسية ، الأولى كلغة أجنبية أساسية ، والثانية كلغة أجنبية اضافية . والواقع أن هذه الفرنسية الاضافية لم تبق لها أية قيمة عملية فى الدراسة ، وقلما ينتفع الطلبة بتعليمها ، وإنما هى أثر من آثار الصراع القديم والعهد الماضى ، ففيم بقاؤها اليوم عنصراً من عناصر الارهاق والتعطيل ؟ قد يكون فى اقتراح الأساتذة الانكليز ما يبعث على الشك فى نزاهته وأنه يرمى قبل كل شىء إلى تخلص اللغة الانكليزية من منافسة قديمة . فليكن ؛ ولكنا نستطيع أيضاً أن نحول هذا الالغاء لمصلحة اللغة العربية والثقافة القومية ، ذلك أن اللغة العربية تتخلص أيضاً بالغاء هذه الفرنسية الاضافية من منافسة لا مبرر لها وليست لها قيمة علمية تذكر ؛ ويكفى أن تضطلع العربية بالدفاع عن نفسها أمام غزو لغة أجنبية رسمية واحدة ، وأن تقف مع الانكليزية وجهاً لوجه ، وأن تكسب بذلك قوة جديدة وأن تغزو ميداناً جديداً للعمل والكفاح

فى وسع مصر أن تلغى الفرنسية من معاهدها ، ولكنها لا تستطيع لظروفها السياسية الخاصة أن تلغى الانكليزية . وإذن فلا ضير أن تلغى الفرنسية ؛ وفى الانكليزية كلغة ثقافة عالية ما يكفى لتزويد المتعلم بكل ما يطمح إليه من صنوف العلوم والمعارف الحديثة ، وكفى ما تلقاه البلاد من غزو معنوى منظم على يد المعاهد

الأجنبية فرنسية وغيرها ، وكلها تقوم برسالة غير رسالة العلم الخالص

لسنا نجد موضعاً للمفاضلة بين الفرنسية والانكليزية فكلتاهما من أعظم اللغات الحية سواء فى العلوم أو الآداب أو الفنون ، وكلتاهما من أهم اللغات الدولية فى المعاملات التجارية . ولسنا من أنصار ثقافة أجنبية بعينها ، وإنما نؤيد الأخذ والاقتباس من كل ثقافة رفيعة . ولكن الأساتذة الفرنسيين فى وزارة المعارف وأنصار الثقافة الفرنسية فى مصر يضجون لفكرة إلغاء اللغة الفرنسية من مواد الدراسة الرسمية ، ويشفقون على مستقبل الثقافة الفرنسية فى هذه البلاد ، فلم هذه الضجة ولم هذا الاشفاق ؟ يقولون إن الثقافة الفرنسية هى أصلح الثقافات الغربية لمصر ، وإن النهضة المصرية الأخيرة بدأت على أساس الثقافة الفرنسية واستمرت كذلك طوال القرن الماضى ، وإن قادة الحركة الفكرية الحديثة فى مصر تلقوا العلم جميعاً فى فرنسا ، وإن الصلات التاريخية والاجتماعية القديمة بين مصر وفرنسا ، وكون مصر اقتبست قوانينها الحديثة من القانون المدنى الفرنسى ، وكون اللغة الفرنسية ما تزال لغة المعاملات المختلفة فى مصر ، وأخيراً كون مصر أمة من أمم البحر الأبيض التى تغمرها الثقافات اللاتينية : كل هذه العوامل تحتم الابقاء على اللغة الفرنسية فى مصر ، والمضى فى الاقتباس من الثقافة الفرنسية وتوثيق هذه الروابط المعنوية بين البلدين

ونحن لا نود أن نجادل فى هذه الوقائع من الناحية المادية ، ولكنا نلاحظ فقط أن مصر الحديثة لم تتجه إلى اختيار الثقافة الفرنسية قصداً بمحض اختيارها ؛ وإنما هو مجرى الحوادث القاهر الذى ساقها إلى هذا السبيل ، فقد نظم الفرنسيون حينما غزوا مصر فى خاتمة القرن الثامن عشر ، غزوهم المعنوى إلى جانب الغزو السياسى ، وعنوا ببث ثقافتهم فى مصر عناية خاصة ؛ ولما استخلص محمد على حكم البلاد لنفسه ، ألفى أمامه بقية قائمة من هذه الثقافة ، وألفى الفرنسيين على أهبة لمعاونته ، وقضت ظروف سياسية معينة أن يقبل هذه المعاونة وأن ينتفع بها فى تنظيم إدارته وإصلاح جيشه وماليته ؛ وفى ظل هذه الظروف أرسلت البعثات المصرية الأولى الى فرنسا ، وقد كانت يومئذ أوثق الدول الغربية صلة بمصر ، واستطاعت فرنسا أن تقوى نفوذها المعنوى والثقافى بمصر ، وغدا هذا النفوذ بمرور الزمن ظاهرة قائمة فى الحياة المصرية ، واستمر ينتج أثره فى طبع المجتمع المصرى المثقف بالطابع الفرنسى حتى أواخر القرن الماضى . هذه هى قصة الثقافة الفرنسية بمصر ، فلم تكن مصر عامدة أو حرة فى اختيارها ولم تخترها وتؤثرها لأنها أصلح الثقافات لها ، أو لأن ظروفها الجغرافية والاجتماعية كاحدى أمم البحر الأبيض تحتم عليها أن تسير وراء الثقافة اللاتينية ، أو لغير ذلك مما ينتحله أنصار الثقافة الفرنسية فى مصر ؛ ولم يكن الأمر أكثر من حادث تاريخى عرضى زالت البواعث والظروف التى أدت اليه منذ بعيد

لسنا ننتقص من الثقافة الفرنسية أو غيرها من الثقافات الغربية الرفيعة ، ولكنا سئمنا هذا التنافس على غزونا من طريق اللغات والثقافات ، ولا نريد بعد أن نعتبر منطقة نفوذ لهذه الثقافة أو تلك ، ونريد قبل كل شيء أن نوحد جهودنا المعنوية فى مقاومة الغزو الذى لامناص من قيامه فى معاهدنا ومدارسنا ؛ ذلك هو الغزو الانكليزى ؛ ولن يكون ذلك إلا بالعمل على تعزيز اللغة العربية وتقدمها ، وتعزيز عناصر الثقافة القومية فى صدور الشباب . ومن حسن الطالع أن هذا الغزو الانكليزى المنظم لعقولنا لم يصادف كثيراً من النجاح رغم استئثاره فى عصر ما بجميع المواد والدراسات ؛ ذلك لأننا نشعر دائماً بما وراءه من الظروف والاعتبارات التى لايرتاح اليها ضميرنا القومى ، ولأننا نشعر دائماً أنه غزو مفروض علينا فى معنى من المعانى . وليس معنى ذلك أننا لم نجن غنماً علمياً من دراسة الانكليزية ، ومن التثقف بثقافتها ، فقد جنينا بالعكس منها فوائد جليلة ، ولكنا نعتقد أن هذا الغنم يكون مضاعفاً لو أن مصر استطاعت أن تتحرر من كل نفوذ معنوى ، وأن تختار لنفسها ماشاءت من ألوان الثقافات المختلفة التى تحقق أمانيها الوثابة دون أن تجنى على بنائها وتقاليدها القومية ؛ ونحن على يقين من أنه يوم يتاح لنا مثل هذا الاختيار الحر ، لانستطيع أن نرى فى الانكليزية إلا أنها فى مقدمة اللغات والثقافات ، ولانجد غضاضة فى أن تكون هى اللغة الأجنبية الأساسية ، وأن تكون أداة لسد كل نقص نشعر به فى دراساتنا

والخلاصة أننا لا نجد غضاضة ولا ضرراً فى إلغاء الفرنسية

كيف نبعث الأدب
وكيف نتروّاه ؟

للأستاذ عبد العزيز البشرى

عرضه وجلاء تاريخ :

لا شكّ فى أن من أهمّ نهضاتنا التى نتواثب فيها الآنَ ومن أبْرزها نهضةَ الآداب : فلقد زاد عددُ المُقْبلين على الأدب العربىّ والذين يُعالجونه فى هذا العصر بقدْرٍ عظيم ، كما أُعليَت مكانته ، وأبْعدت أغراضه ، وتلوّنت فنونه . وبعد أن كان يَضطرِب فى أضيق مضطرب ، ويَتقلّب فى أفْسل المعانى ، ولا يستشرف إلاّ للضّئيل التّافه من الغايات من المديح الوضيع الذليل ، ومن الغَزَل المصنوع المتكلّف ، ومن فَخر مكذوب لا يَمُتُّ إلى مَفاخر العصر بسبب ، ومن وَصف مُفترًى على الطبيعة ، فلا هو مما ينتظمُ الواقع ، ولا هو مما يَخلَع عليه الخيالُ الصّناعُ صورةَ الواقع ، ومن هجوٍ تُتلقّط فيه المعايبُ والقاذِر من هنا ومن هنا لتُعفر بها وجوه الناس عَفراً . ونحو ذلك مما كان يجول فيه الأدب فى الجيل الماضى ، على وجه عامّ ، وتَتجرّد فى طلبه والتشمير له جَمهرةُ المتأدّبين . على أنه لم يكن له أىّ حظٍّ من وُجدان ولا من جَيَشان عاطفة ، وكيف له بهذا وهو لم يَذْكُ له حسّ ، ولم يَخفق به قلب ، وإنما أمرُه إلى حركة آلية لا تكاد تعدو فى مَذهبها تلك الحركةَ التى تَنبعث بها الصناعاتُ اليدَوية . إلى أنّ تلك المعانى ، إذا صدق أن مثل ذلك مما نُطلق عليه كلمةُ المعانى ، لقد كانت ، فى الكثير الغالب ، تُجلَى فى صوَر مُترهلة متزايلة ، لا يقوّى بناءَها أو يشدّ مَتنها شىءٌ من جزالة اللفظ ومَتانة الرّصف ، وتلاحم النسج ، ولا يجتمع لتزيينها وتبهيجها شىءٌ من حسن الصياغة وإشراق الدّيباجة وجَمال النظام !

ولقد قيدتُ هذا (بالكثير الغالب) لأن ذلك الجيلَ الماضى لم يَخلُ من كتابٍ ومن شعراء أغلوا حظّ الأدب ، ففسحوا فى أغراضه ، وأبعدوا فى مطالبه ، وحلقوا بمعانيه ، وأبدَعوا فى البيان ، فاتسق لجلالة المعانى شرفُ اللفظ ، وبراعةُ النظم ، وإحكامُ النسج ، وكذلك استوى من المنظوم والمنثور كليهما كلامٌ يترقرق ماؤُه ، ويتألق سَناؤُه . ورحم الله ابراهيم المويلحى وابراهيم اللقانى وأضرابهما فى الكتاب ، ومحمود سامى البارودى واسماعيل صبرى فى الشعراء ، فقد هَدَوا إلى حسن البيان السبيل

* * *

وإذا كان الأدب يَتمثل لأُدباء هذا الجيل فى صورة أبدعَ وأروعَ من الصورة التى كان يَتمثل فيها لسلَفهم القريب ، كما أدركوا هم أن له مهماتٍ أوسعَ أفقاً وأبعدَ مَدًى من تلك التى كان يدور فيها فى ذلك العهد ، حتى لقد أصبح يتقلب فى جُلّى أسباب الحياة ، بل لقد تجاوز أو كاد يتجاوز أفقَ الكماليات البَحت إلى موطن الضرورات فى الحياة الاجتماعية — إذا كان المتأدبون قد أصبحوا يُحلّون الأدبَ هذا الموضع ، ويَتمثلونه على هذه الصورة ، فذلك لأنهم طالعوا أدبَ الغرب ورأوا مايتصرّف فيه من مختلف الفنون ، وما يتجرّد له من جسام المطالب

لقد أصبح الأدب وسيلة من وسائل تنعيم النفس وتلذيذها بما يجلو عليها من صُور الجمال ، وبما يُرهف من الحسّ حتى يتفطن من ألوان المعانى إلى كل دقيق وإلى كلّ بديع ، كذلك لقد تبسط الأدبُ واسترسلت آثاره إلى كثير من الأسباب العامة ،

من برامجنا الدراسية والقضاء على هذا التنازع فى النفوذ العقلى فى معاهدنا ، وتحرير اللغة العربية بذلك من أحد عناصر المنافسة التى لامبرر لها ، والتى ما زالت تشعر بوطأتها . بل نرى من الخير ومن الواجب معا أن تقاوم البلاد كل ألوان هذا الغزو الثقافى الأجنبى ما استطاعت خصوصا ماكان منه ستاراً لبث نفوذ معين يتخذ من آن لآخر وسيلة لتحقيق مختلف الغايات والمصالح ؛ ولسنا نفرق فى ذلك بين غزو وغزو ونفوذ ونفوذ ؛ فالفرنسى والايطالى والألمانى كالانجليزى يتخذون من بلادنا مسرحاً لهذه المنافسات الخطرة ؛ وإنه لمن خير مصر وسلامها أن تقاوم هذا الغزو المعنوى دائما وأن تعمل على تحطيم عناصره وأسلحته ما استطاعت

محمد عبد الله عنان
المحامى

على ما تقدمت الاشارةُ إليه ، فعظم بذلك أمره ، وجلّ في عيش الحضارة خطبه ، وكذلك أضحى للبارعين من أهله في الغرب من الشأن مالا يكاد يوصل به شان

ولقد زعمتُ لك أن الذي بعث تقدير أبناء العربية للأدب هذا المبعث ما جُلي عليهم من أدب الغرب وما طالعوا من بعيد آثاره في شتى الأسباب ، فراح كثيرون منهم يتأثرونه ، ويتصرّفون بالبيان في مثل ما يتصرّف فيه من مختلف الفنون . على أن كثيرين من هؤلاء الكثيرين قد انقطع جهدهم دون هذه الغاية فلم يظفروا من الأمر بجليل . ولا شك أن ذلك يرجع إلى أنهم ، في غالب الأحيان ، إنما ينقُلون إلى العربية ما يتهيأ لهم نقله من آداب الغرب على الصورة التي يستوي فيها لأهله ، لايحاولون ، أو لعلهم يعجزون إذا هم حاولوا ، أن يطبعوه على ما يألفه الخيال الشرقيّ ، ويستريح اليه الذوق العربيّ ، وتسلس له بلاغات العرب !

ولقد يكون هذا من أثر الافتتان بأدب الغرب ، والتجرّد في محاكاته وتقليده من جهة ، وقلة المحصول من فقه العربية ورقة الزاد من ألوان بلاغاتها من جهة أخرى

وبعد ، فما نحسب أن هناك من ينكر على الأدب العربيّ جليل خطره في عهد الجاهلية وفي قيام الدولة العربية في الشرق والغرب ، وأنه كان ، في الجملة ، يؤدي من مطالب الحياة ما يؤديه الأدب الغربي اليوم ، وأقول (في الجملة) لأن الأدب قد تشعبت في هذا العصر فنونه ، وتطاولت آثاره إلى كثير لم يلتفت اليه في الزمان القديم ، ولعله لو ظلت دولة العرب قائمة ، وظلت حضارتهم في اطرادها ، ما تقاصر اليوم عن شأو الأدب الغربيّ ، بل لعله كان يسبقه إلى كثير ! . ولو قد عني النشء من متأدبينا بدراسة هذا الأدب ، وخاضوا في أمهات كتبه ، وأطالوا تسريح النظر فيما أُثر من روائعه ، لرجعوا إلى نفوسهم بأنه أدبٌ عظيم كلُّ عظيم ، أدبٌ يمتع حقاً وينعّم الروح حقاً بما ينفض من عاطفة معتلجة ، ويصوّر من دقيق حسّ ، ويتدسس إلى ما استكن في مطاوي الضمير ، إلى ما أصاب من المعاني البارعة ، وما تعلق به من الأخيلة الرائعة ، وما تصرّف فيه من كل دقيق وجليل في جميع الأسباب الدائرة بين الناس . ما ترك جليلاً من الأمر ولا دقيقاً إلاّ مسه وعرض له وعالجه بالتصوير والتلوين ، وكل أولئك يصيبه في مصطفى لفظ ، ومحكم نسج ، وبارع نظم ، ودقة أداء ، وحلاوة تعبير !

على أن الأدب العربيّ ، مع هذا لقد طالما جال في بعض الأسباب العامة وساهم في الأحداث السياسية والقومية والمذهبية بقدر غير يسير ، ومهما يكن من شيء فهو أدبٌ واسع الغنى ، رفيع الدرجة ؛ بل إنه لمن أغنى الآداب التي قامت في العالم ومن أعلاها مكانا

والواقع أنه قد انقبض بانقباض الدول العربية وضعُف بضعفها ، فجعلت تضيق أغراضه ، وتتواضع معانيه ، ويجف ماؤه ، ويتجلجل بناؤه ، حتى صار إلى ما صار اليه وظل عاكفاً عليه ، إلى ما قبيل نصف قرن من الزمان

ولا يذهب عنك أنه في فترة انقباضه الطويلة قد انبعثت في الغرب حضارة جديدةٌ جعلت ، على الزمن ، تنبسط وتتناول وسائل الحياة دِراكاً حتى بلغتْ شأواً بعيداً . ومما ينبغي أن يُلتفت اليه أشد الالتفات في هذا المقام ، أن هذه الحضارة قد أوْلت أجلّ عنايتها للشئون المادية ، فكان حظُّ العلوم الطبيعية والكيميائية منها عظيما ، فاستكشفت أشياء كثيرة ، واختُرعت أشياءُ كثيرة ، حتى كاد الانسان لايتناول شأناً من شئون الحياة إلا بسبب طريف . وبذلك كثرت الآلات المادية كثرة تفوق حدود الوصف ، وهي تطرد في الزيادة كل يوم ، إذ اللغةُ العربية جاثمةٌ في أخوصها لاتمتدّ بالتعريف عن هذا ، إذا هي امتدّت ، إلا الى قليل ، بل الى أقلّ من القليل

ولقد كان من آثار فقر العربية في هذا الباب أنها حتى بعد نهضتها الأخيرة لزِمَت في بيانها دائرةَ الأدبيات لاتصيب من المحَسّات المادية ، إن هي أصابت ، إلا في حرج وفي عسر شديد ! وكيف لها بهذا وليس لها به عهد قريب ولا بعيد ؟ !

وإذا كانت الحاجة تفتق الحيلة كما يقولون ، فقد بعثت النهضة العلميةُ في عهد محمد علي الكبير رفاعةَ وأصحابه الى أن ينفضوا قديم العربية لعلهم يجدون بين مفرداتها وما أُثِر في كتبها من المصطلحات العلمية والفنية ما يدلون به على ما استوى لهم من جديد في العلوم والفنون ، فاذا أصابوا هذا وإلا عمدوا الى الوسائل الأخرى من النحت والاشتقاق والتعريب . وإذا كان قد اجتمع

لهم فيما نقلوا الى العربية من علوم الغرب وفنونه صدرٌ محمود ، فان ذلك أصبح لا غناء فيه ولا سداد له ، بعد إذ فترت تلك النهضةُ وخبت جذوتها بعد ذهاب مُذكيها المرحوم محمد على الكبير ، بينا تطرد العلوم والفنون فى تبسطها حتى لتخرج على العالم كل يوم بجديد . وهذه الحاجة الملحة ، والتى يشتدّ إلحاحُها ويتضاعف كلما تراخت الأيام ، لقد كانت تبعث جماعات الفضلاء الفينة بعد الفينة الى تأليف الجمعيات للبحث والنظر فى تحريك لغة العرب حتى تستطيع أن تتوافى لمطالب الحضارة الحديثة . على أنه لم يُقدر لها النجاح لأسباب لا محل لذكرها فى هذا المقام . فلم يبق بدٌّ من أن تضطلع وزارةُ المعارف بالأمر ، وبعد لأى قام (المجمع الملكى للغة العربية) ، نسأل الله تعالى أن يمده بروحه ، ويعينه على مهمه جليل المشقة جليل الآثار ، وأن يهديه الى أقوم سبيل !

* * *

لقد استطرد القلم من حديث الأدب الى حديث اللغة ، وماله لا يفعل واللغةُ مادّته وملاكه . وإذا كان أجلّ همه الى المعنويات فليس له عن هذه المادة غناء ، بل لقد تكون وسيلته وأداته حتى فى التعبير عن أخفى العواطف وأدق خلجات النفوس . على أن أهم ما يعنينا من هذا البحث إنما هو حيرة الأدباء ، أو على تعبير أضبط ، حَيرة بعض من يعانون الأدب فى هذا العصر ، وذلك أن فى مأثور العربية أدباً غنياً سرياً واتى سلفنا العظيم بمطالب الشعور ومطالب الحضارة جميعاً . على أننا نعيش الآنَ فى حضارةٍ غير حضارتهم ، ونُعالج من وسائل الحياة غيرَ ما عالجوا . ثم إنه مهما تطبعنا الوراثةُ على طبعهم ، وتنضح علينا من أذواقهم وشعورهم وغير ذلك من خلالهم ، فان مما لا شك فيه أن لتطاول الزمن ، وتغيرّ البيئات ، وتلوّن الحضارات ، وما يجوز بالأقوام من عظيات الأحداث أثراً لقد يكون بعيداً فى كل أولئك . وأنت خبيرٌ بأن الأدبَ الحقّ إنما يتكيّف بما هو كائن ، ويُترجم عما هو واقع(١) . ومن هذا نجد كل أدب حىّ متحرك فى تطوّر مستمرّ طوعاً لتطوّر العوامل والأسباب..

ولست تلتمس دليلاً على أن الأدب العربىّ إنما كان كذلك فى حياته القوية بخير من أن تستعرض شأنه فى الجاهلية ، وتقلّبه فى جميع الدول العربيـة فى العصور الاسلامية . فلن تخرج من هذا إلاّ بأنه قد تأثر فى كل عصر وفى كل بيئة بقدر ما تغيرّ على القوم من مظاهر الحياة

ومعنى هـذا الكلام أن الأدب العربىّ ، فى أى عصر من عصوره الخالية ، مهما يجلّ قدرُه وتعظم ثروته لا يمكن أن يُغنينا الآنَ فى كثير من مطالب الحياة إذا نحن اتخذناه على حاله ، ولم نعدُ ما كان من صوَره وأشكاله . وإلاّ فقـد سألنا الطبيعةَ شططا . فهيهات للساكن الجاثم أن يَلحق المتحرّكَ السائر

وهناك أدبٌ غربىّ دارجَ الحضارةَ الحديثةَ وسايرها خطوة خطوة ، واتّسع لكل مطالبها ، وواتاها بجميع حاجاتها فى غير مشقة ولا عناء . ولا يذهب عنك أننا إنما نتأثر الغرب فى ثقافته وعلومه وفنونه وسائر وسائله ، وهذه سبيلنا إلى ما نستشرف له من التقدم ومشاكلة الأقوياء ، ولكن هذا الأدب الغربىّ الذى نُقبل على محاكاته فيما نقبل عليه من آثار القوم ، لا يتّسق فى بعض صوره لشأننا ، ولا تستريح إليه أذواقنا ، بل إنه قد لا يَستوى فى تصوّراتنا ، ولا يجدى علينا فى كثير ، أضف إلى هـذا عجز بعض نقلَته سواء فى شعره أو فى نثره ، وقلة محصولهم من العربية ، واضطرارهم ، بحكم ذلك ، إلى إخراجه ، مترجمين كانوا أم محاكين ومقلّدين ، فى صور بيانية شائهة الخلق ، ناشزة على الطبع ، لا تُحسّ إلا مليخةً باردةً فى مَذاق الكلام !

* * *

وبعد ، فان ممـا لا يتقبلّ النزاع أنه لا بدّ لنا من أدبٍ قوىّ سرىّ يواتى جميع حاجاتنا ، ويساير ثقافتنا القائمة ، ويَتوافى لهذه الحضارة التى نعيش فيها ، بحيث تَطمئن به طباعنا ، وتستريح إليه أذواقنا ، شأن كل أدب حىّ فى هذا العالم ، ولعل من أشد الفضول أن نقول إن هذا الأدب لا يمكن إلاّ أن يكون عربياً . ولكن كيف الحياةُ فى ذلك ؟

ذلك ما نعالجه فى مقال آخر إن شاء الله تعالى ، فلقد طال هذا الحديث ؟!

عبد العزيز البشرى

(١) قد يحاكى الشاعر أو الكاتب ، لأمر ما ، أدب السابقين . وقد يعمد إلى تصوير عواطفهم وخلجات نفوسهم حتى كأنه يجدها ويشعر بها على نحو ما شعروا ، وأكثر ما يقع ذلك فى الأدب القصصى . على أن الأديب فى هذا مستعير لا أكثر

٦ – قصة المكروب

كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور احمد زكى

وكيل كلية العلوم

اسپلنزانى Spallanzani

صلة حديثه

« القس الماكر الذى مالق الكنيسة والسلطات وهو يحتقرها جميعاً لكى يعيش ولكى يعمل فى سكون ؛ الذى ناضل نضال الجند بغير أهبة الجند وعدة الجند ؛ الذى أثبت من مرق اللحم أن المكروبات ككل الأحياء لابد لها من آباء ؛ الذى أهدى للعلم مثانته الوبيئة ، ذلك الأثر الوحيد الذى بقى للناس إلى اليوم من هذا الرجل الكبير الخالد »

ولم يكن « نيدم » فى هذه الأثناء غافلاً نائماً ، بل كان يقظاً لكل ماجرى ، محساً بخطره أيما احساس ؛ وكان حاذقاً فى الدعاية ماهراً فى النشر والاذاعة . فذهب إلى باريس وأخذ يحاضر فيها عن مرق لحمه ؛ وفى باريس التقى بالكونت الشهير « بيفون » Count Buffon . وكان الكونت ثرياً ، وكان جميلاً ، وكان يحب أن يكتب فى العلم ، ويعتقد أنه يستطيع تخريج الحقائق من رأسه أحسن تخريج ، إلا أنه والحق يقال كان أنيق الثياب أناقة منعته من دخول المعامل وممارسة التجارب . وكان بحق يعرف شيئاً من الرياضات ، فترجم عن نيوتن إلى الفرنسية . فاذا أنت علمت فضلاً عن هذا أنه كان يستطيع أن يلعب على الورق بالأرقام الكبيرة المعقدة فى سهولة لعب السحرة المهرة ، وإذا أنت أضفت إلى هذا أنه رجل أرستقراطى نبيل ، وأنه فوق كل هذا رجل ذو مال كثير ، استطعت أن تدرك فى غير عناء كبير أنه رجل من الأفذاذ القلائل الذين يحق لهم أن يقضوا لنا فى أمر تلك الأحياء الصغيرة قضاءً صادقاً دون الرجوع إلى التجربة ، وأن يقولوا لنا أتخرج تلك الأحياء عن آباء وأمهات ، أم هى تخرج من ذات نفسها – أو على الأقل هكذا كان يتحدث عنه سَحَرة باريس الكفرة الفجرة

وعمل « بيفون » و « نيدم » سوياً بتوافق تام ، وفى صفاء لا يشوبه كدر ، واقتسما العمل : أما « بيفون » فكان يلبس الثياب البنفسجية البديعة ، والأكمام ذات الدنتلة النادرة العزيزة ، فلم يكن يُنتظر منه أن يوسخها على نَضَد المعامل القذرة بما عليها من تراب وزجاج منثور ، ومرق مُراق من وعاء مكسور ، لذلك اختص بالتفكير وبالكتابة ، وقام « نيدم » بالتجريب . واعتزم الاثنان أن يخترعا نظرية ضخمة يفسران بها كيف تنشأ الحياة ، وفلسفة رفيعة عميقة يفهمها مع ذلك كل إنسان ، فلسفة يجتمع عليها المؤمنون البررة والملاحدة السَّحَرة على السواء . وأخرجا نظرية أهملت الحقائق التى استخرجها « اسپلنزانى » كل الاهمال ، وتعامت عنها كل التعامى ! ولكن ما ضرر هذا ؟ ألم تخرج هذه النظرية من رأس « بيفون » العظيم ؟ أليس فى عِظَم هذا الرأس ما يبرر نقض كل حقيقة مهما كان مكانها من اليقين ؟

يقول نيدم للكونت النبيل : « سيدى اللورد الجليل ! ما الأسباب التى تنشأ عنها تلك الحيوانات الصغيرة فى مرق الضأن برغم غليانها ؟ »

فيحتدم عقل بيفون ، ويدور فى الطبقات العليا من الخيال الرفيع دوراناً رشيقاً بديعاً ، ثم يهبط إلى الأرض ويجيب :

دورة الحياة للذباب كما نعرفها اليوم (١)

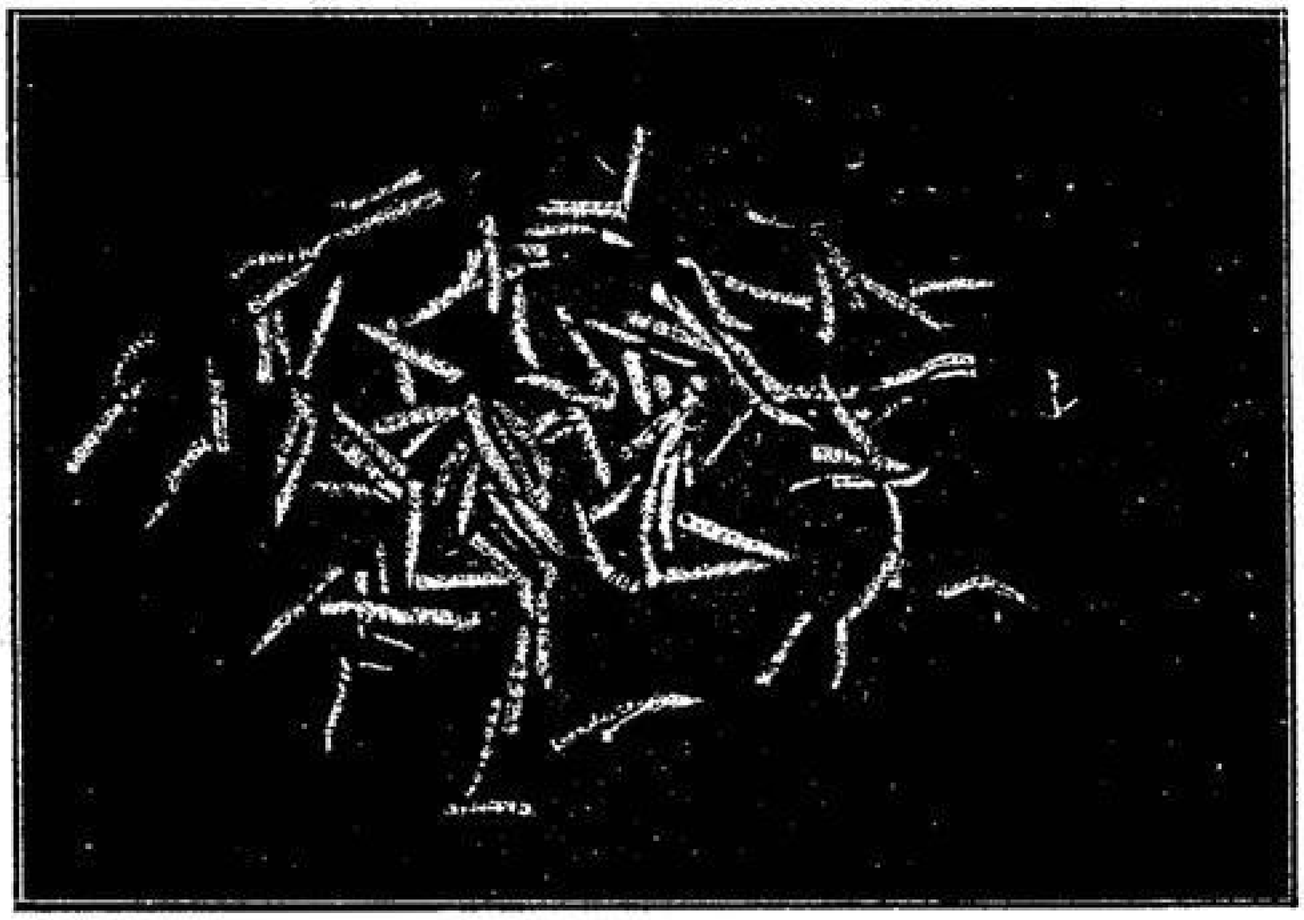


الأنثى من الذبابة

(١) انظر تجربة «ريدى» على تكوين الذباب فى اللحم بصحيفة ٤١٢ بالعدد الماضى ، وهى التجربة التى أوحت الى اسپلنزانى تجاربه على المكروب



جماعات من بيض الذباب فى روث باسطبل بحجمها الطبيعى وتبلغ نحو ١٥٠٠ بيضة



دود الذباب الذى يخرج من البيض ثم يتخلق فيصير ذباباً

« عزيزى الأب نيدم ، لقد كشفتَ كشفاً خطيراً ، لقد وضعت أصبعَك على أصل الوجود ، لقد رفعتَ الغطاء فى مرق لحمك عن تلك القوة التى تخلق الحياة » . نعم لا بد أن تكون قوة ، كل شىء قوة !

فيقول الأب نيدم : إذن فلنسمّها : القوة النباتية ، أى لوردى العظيم »

فيجيب بيفون : « اسم مناسب جميل ، أيها الأب الجليل »

ثم يلبس الكونت أحسن ثيابه ويذهب إلى مكتبه ، وقد تنضّح جوّه بأطيب العطور ، ويبدأ يكتب عن عجائب القدرة النباتيـة التى تستطيع أن تخلق فى مرق اللحم ونقيع الحب حيوانات صغيرة — يكتب هـذا لا من ملاحظات دوّنها عن تجارب فى المعمل شهِدَ بها الزجاج والمِدَسُّ واللهب ، بل يكتبها من عقله الخصيب

وما هى إلا أيام معدودات حتى كنتَ تسمع (بالقوة النباتية) على كل لسان ، يتحدث بها كل انسان ، وتتفسر بها كل الأمور ، فالزنادقة أحلّوها محل الله ، ورجال الكنيسة قالوا إنها أمضى أسلحة الله . وشاعت فى الناس كما تشيع الأغانى ، وانتقلت بينهم انتقال الحكاية المليحة التى لا تتصل بالآداب اتصالاً وثيقاً ، أو كما نتحدث اليوم عن النظرية النسبية

وأسوأ من هـذا وأنكى أن الجمعية الملكية جارتْ رجل الشارع ، بل سارعتـه حتى كادت تتعثر فى خطاها ، فانتخبت « نيدم » عضواً بها ، ونادت به أكاديمية العلوم بباريس زميلاً . وفى هذه الأثناء كان اسپلنزانى يسير فى معمله رائحاً غادياً يتمتم ويدمدم : ذاك خطر على العلم كبير ، ذاك تعامٍ عن الحقائق المتجسدة المتجرّدة الصامتة التى بدونها لا يكون العلم علماً ، هذان رجلان يتغاضيان عن تجاربه البديعة وما تتضمنه من حقائق جميلة !

وظل اسپلنزانى لا يدرى كيف يصنع . وأنّى له ما يصنع ، وقد أغرق نيدمُ وبيفون العالمَ العلمىَّ بطوفانٍ من الكَلِم ، ولم يجيبا بشىء عن حقائقه ، ولم يُريا الناس مواضعَ الخطأ من تجاربه ؟

وكان الطليانى مقاتلاً شـديد المراس ، ولـكنه كان يحب القتال بالحقيقـة وبالتجربة ، وقام خصماه فأثارا حوله غباراً كثيفاً من اللفظ الفارغ ، ولفّاه من فرعه إلى قدمه بقَتام الكَلِم البائر ، فلما امتشق سيفه وأراد أن يضرب لم يجد ما يضرب . صاح اسپلنزانى ما صاح ، وغضب ما غضب ، وسخر سخراً مريراً بتلك الدعابة الهائلة ، تلك القوة التى أسموها القوة النباتيـة ، ولـكن من دون جدوى . قال نيـدم إنها القوة التى أخرجت حواء من ضلع آدم ، إنها القوة التى كونت شجرة الصين العجيبة التى تكون فى الشـتاء دودة ، فاذا جاءها الصيف استحالت ويا للعجب إلى شجرة باسقة جميلة — إلى غير هذا من الخَرَف

والكذب ، حتى خال اسپلنزانى أن علم الحيوان كاد يَضيع ، كادت تُضيعه هذه القوة النباتية التى ابتدعها نيدم وأخذ يفسر بها كل شىء ، فلم يبق له إلا أن يُخرج بوساطتها من البقر رجالاً ، ومن البراغيث أفيالاً !

ثم جاءت على حين غفلة تلك الفرصة التى أمكنته من القتال . ذلك أن نيدم كتب إليه يَنْقد تجربة من تجاربه . كتب إليه يقول : « إن تجربتك يا هذا لا تصمد للنقد طويلاً . انك سخنت قباباتك[1] ساعة كاملة ، فهذه الحرارة الشديدة أضعفت تلك القوة النباتية فأصبحت لاتستطيع خلق تلك الأحياء الصغيرة »

وكان هذا كل الذى طلبه اسپلنزانى واصطبر من أجله طويلاً فنسى لاهوته ، ونسى تلاميذه العديدين الذين كانوا يتشوّقون إلى دروسه ، ونسى العقائل الحسان اللائى كنّ يتزاحمن حوله ليطوف بهن فى متحفه ، وطوى أردانه الواسعة فكشف عن سواعده . وأخذ يعمل ، لا بقلمه فى مكتبه ، ولكن بزجاجه وبذوره ومجهره على نَضَد معمله

— ٤ —

« نِيدم يقول إن الحرارة تفسد فى البذور تلك القوة التى أسماها بالنباتية . شىء جميل ! هل كان جرّب قبل أن ينطق ؟ وكيف عرف تلك القوة ؟ هل أحسها ؟ هل رآها ؟ هل وزنها ؟ هل قاسها ؟ لم يفعل شيئاً من هـذا ، ومع هذا يقول إنها موجودة فى البذور ! فليكن ، وإذن فلنسخن هـذه البذور ثم نر »

وأخرج اسپلنزانى قباباته مرة أخرى وأخذ فى تنظيفها . ونقع فى الماء النقىّ أنواعاً عدة من البذور والحمص والفول وغير هذه حتى امتلأت الحجرة بالقبابات ، فكنت تراها تُشرف عليك من فوق الأرفف العالية ، وكنت تراها جالسة على النضد والكراسى الواطئة ، وكنت تراها أوطأ من ذلك — قد تربعت على أرض الغرفة حتى يتعذر عليك السير فيها

قال اسپلنزانى : « والآن فلأغلِ طائفة كبيرة من هـذه القبابات أزماناً مختلفة ثم أنظر أيها يخرج أكثر عدد من تلك الأحياء الصغيرة » . وأخذ يغطس هـذه القبابة فى الماء الغالى خمس دقائق ، ثم يغطس هذه فيه نصف ساعة ، ثم هـذه ساعة تامة ، ثم أخرى ساعتين . وبدل أن يلحمها ويختمها فى النار سدّها بالفلين . ولم لا ؟ ألم يقل نيدم إن هـذا يكفى ؟ ثم رتبها جميعاً ونحّاها . وأخـذ ينتظر . وذهب يصطاد وينسى أن يشد الخيط عندما تأكل السمكة الطعم ، وذهب يجمع المعادن والأحجار لتحفه وينسى بعد جمعها أن يحملها عند الرواح إلى بيته . وأعمل الحيلة لزيادة مرتبه ، وأقام القدّاسات ، ودرس كيف يتناسل الضفدع — ثم اختفى مرة أخرى إلى غرفته المعتمة بما فيها من زجاجات مصفوفة وأدوات غريبة

لو صح قول نِيدم ، إذن لوجدنا القبابات التى أغليت عشر دقائق تعجّ بالاحياء ، ولم نجـد شيئاً فى الأخريات التى أغليت ساعة أو ساعتين . ونزع السدادات سدادة سدادة ، ونظر فى القطرات قطرة قطرة ، وأخيراً أخذ يقصف بالضحك ، فالزجاجات التى أغليت ساعتين كان بها من تلك الخلائق الحية المرحة أكثر من التى أغليت دقائق

« زعموها قوة نباتيـة ! حديث خرافة وأضغاث أحلام . إنك مادمت تكتفى بسدّ القبابات فسوف تدخل إليها الأحياء غصباعنك من الهواء . ولن يغنى الغليان عن ذلك شيئاً ولو ظللت تغليها حتى يسودّ وجهك من سخام النار ، فان تلك الأحياء تدخل إلى المرق من السداد بعد أن يبرد »

انتصر اسپلنزانى بهذا ، ثم إذا به يحاول أمراً لا يحاوله إلاّ العالم القُحّ ، العالمُ الذى أُشرب الروح العلمية الحق ، ذلك أنه قام يخاصم نظريته ، ليرى أيستطيع أن يقهر فكرته ، أن يقهر تلك النظرية العزيزة عليه ، أن يقهر تلك الفكرة الحبيبة إليه . فرسم خطة الهجوم . وابتدع فى أمانة وذكاء تجارب هى محكّ ما يقول ، فاما له وإما عليه . هـذا هو العلم ، هذه هى روح العلماء التى وهبها الله قليلاً من الرجال أحبوا الحق حباً غلب على شهوات الأنفس وأمانىّ القلوب . وأخـذ اسپلنزانى يتمشى فى غرفة عمله المظلمة روحةً وجيئة وكفّاه خلف ظهره وهو يتفكر : « . . . . ولكن مهلاً ! أليس من الجائز أن نيدم خمن تخمينةً وقعت فى الصميم من الحقيقة وهو لا يدرى ؟ ! أليس من الجائز أن فى هذه البذور قوّةً نباتية حقاً أعدمتها النار الشديدة ؟ ! »

(١) القبابة زجاجة مقببة البطن طال عنقها أم قصر

ثم قام فأتى بشيء من البذور، ثم قلاها في مِقلاة كما يُحمّص البن، أعني حَبه، حتى ارمدّت واسودت، ثم وضعها في القوارير وصب عليها الماء، ثم هدر كالبعير يقول: « لو صح أن في هذه البذور قوة نباتية كما يزعمون إذن فقد أعدمها التحميص إعداماً »

وبعد أيام رجع إلى قاروراته وما بها من الأحسية المطبوخة من البذور المحروقة، وأخذ ينظر إليها بعدسته فوجدها جميعاً مليئة بتلك الحيوانات الصغيرة يزحم بعضها بعضاً في مَراحها ومغداها، تنعم بالحياة وتبتهج بالعيش في مرق الحبّ المحروق نفس الحياة الناعمة والعيش البهيج الذي كانت تجده في حساء الحب غير المحروق. وعلت وجهه ابتسامة ساخرة، كأنما كان ينظر في هذه الساعة إلى نيدم وإلى بيفون ويتصور ما قد نالهما من جرّاء ذلك من الحرج والضيق

حاول أن يقهر نفسه ويقهر نظريته، فاذا النتيجة تطلع بقهر نيدم رب التقوى، وباندحار بيفون رب الظرافة. قالا إن النار تقتل القوة التي ابتدعاها فلا تتكوّن تلك الخلائق، وها هي ذي البذور تحرق حتى تتفحم وهي لا تزال ترفُد تلك الأحياء بالغذاء الطيب المرئ — « إذن فتلك القوة خرافة ». وبهذا النداء صاح اسبلنزاني في أوربا يسمع دانيها وقاصيها فأخذت تُنصت اليه.

وأراد أن يستجمّ من عناء تلك المخلوقات الضئيلة وما يتصل بها من أبحاث مجهدة، فحوّل همه إلى المعدة الانسانية وأخذ يدرس الهضم كيف يحصل فيها، وأجرى في ذلك تجارب على نفسه كانت مؤذية قاسية. ولم يكفه ذلك فطلع إلى ذروة بيته، إلى تلك الحجرة الحارة المظلمة التي تلي سقيفة داره، وأخذ يدرس كيف أن الوطواط على عماه يستطيع أن يطير فيها ولا يصطدم بشيء مما بها. وفي ثنايا كل هذا استطاع أن يقتصد من وقته فيعين أولاد أخيه على التعلم، وأن يتكفل بحاجات أخته وأخيه، وما كانوا من ذكائه وعبقريته في شيء، ولكنهم كانوا من لحمه ومن دمه

ولم يلبث أن رجع القسيس يسأل نفسه ذلك السؤال القديم: كيف تنشأ الحياة؟ ذلك السؤال الذي منعه دينه من أن يجد له جواباً، وتلك الحياة العجيبة التي أوصاه دينه بأن يتقبلها بعين مغمضة وإيمان أعمى، وأن يتخذ من غرابتها آية من آيات الله العظيم، وأن يرى في غموضها سراً من أسرار الحي القيوم. رجع يبحث في الحياة كيف تتكوّن، وأخذ يجرّب في الحيوانات الكبيرة بدل تلك الحيوانات المجهرية الصغيرة. وبدأ سلسلة من الأبحاث طويلة في سِفاد الضفدع المسمى بأبي ذنيبة toad، ساقته إلى فظائع كبيرة وتمثيل بالحيوان تقشعر منه الأبدان . . .

ولم يكن يأتي الفظاعة حباً لها، ولم يتعدّ حدود اللياقة ضيقاً بها، بل كان يتشمم حيثما قاده أنفه طلباً للمعرفة وتعشقاً لها. وقسا على نفسه كما قسا على الحيوان. ذلك أنه أراد أن يدرس كيف تهضم المعدة الطعام، فاذا به يأتي بقطع صغيرة من الخشب يجعلها جوفاء ثم يملؤها باللحم ثم يبلعها، وبعد ذلك يضع أصبعه في حلقه فيقيئها، ثم يأخذ ينظر ما جرى للحم داخل الخشبات. وثابر كالمخبول على هذا العذاب حتى اعتراه غثيان دائم لم يجد معه إلا الاقرار بالضرر الحاصل فوقف التجارب (١)

يتبع — **احمد زكي**

(١) كان العلماء في هذا العصر يرون في الهضم رأيين، أحدهما أن المعدة تدق الطعام دقاً ميكانيكياً، وثانيهما أنها تذيبه إذابة كيماوية بما تفرز من عصارة. وكان اسبلنزاني يرى الرأي الأخير، وقد أثبته بأن أغرى بعض الطيور الكاسرة يبلع قطع صغيرة من الأسفنج كان يربطها بخيط، فاذا هو انتزعها خرجت بشيء من العصارة الهضمية. فلما تجمع له من تلك العصارة مقدار كاف، وضع فيها قطعاً من اللحم فذابت فيها بعد قليل كما يذوب السكر في الماء — المترجم

من الشعر المنثور

أيها الطفل الغرير !

للآنسة «فتاة الفرات»

— ١ —

رأيتك طفلاً تثب كما يثب العصفور ، فوق الأغصان ،
وسمعتك تغرد كما يغرد البلبل ، على الأفنان ،
فاغتبطت بك اغتباطا ، طار بي من عالم الحقيقة الى عالم الخيال ،
وملأت بمنظرك الجميل عينيّ ،
وشنفت بصوتك العذب سامعتيّ .

— ٢ —

ورأيتك يافعاً عائداً من المدرسة ، تحمل أدواتك ،
وجالساً الى منضدتك تؤدى واجباتك ،
على ثغرك ابتسامة الظفر ، وعلى وجهك طمأنينة الأمل
فقلت : هلال سيكون بدراً تماماً ،
وشبل سيكون أسداً ضرغاماً

— ٣ —

ثم رأيتك بعد أيام وقد برّح بك الداء ،
وأقر الطبيب بالعجز عن الدواء !
تنتزع نفسك من صدرك ، وتقتلعه من بين أضلاعك ،
ففر قلبي جزعاً عليك وطار ،
وانهل الدمع فى إثرك وسار !

— ٤ —

كنت جميلاً فزادك الموت جمالاً ،
وكنت جليلاً فزادتك المنية جلالاً ،
فانت على سرير الموت ملء القلب وملء البصر ،
نعم إن لك فوقه جمال العريس ،
وجلال السيد الرئيس

— ٥ —

أيها الطفل الغرير !
أيها الغصن الغض النضير !
هذه قصيدة أنظمها فيك ، بكاء لك وحزناً عليك ،
كما تنظم يد الربيع لآلىء الأزهار
فى أسلاك الأشجار ،

— ٦ —

ما هى فى الحقيقة عبارات ،
إنما هى عبرات وحسرات ،
نثرتها يد الحزن نثراً ، فجاءت غير موزونة ولا مقفاة
إنها أنفس ما يملكه القلب الكسير
وأثمن ما يحرزه الطرف الحسير

— ٧ —

أنت للنفس سرورها !
وأنت للعين نورها !
لقد ذهب السرور وذهب النور ، فلا نفس ولا عين ،
كل شىء بعدك يسير ،
وكل رزء غير رزئك حقير ،

— ٨ —

الشمس مشرقة ولكن ليس لها ضياء !
والقمر طالع ولكن فارقه البهاء !
والعنادل تغرد على الأغصان فلا تحرك ساكناً ، ولا تثير كامناً ،
فأنت مصدر كل نور
وأنت مبعث كل سرور

— ٩ —

لو استطعنا لغسلناك بالدموع
ودفناك بين الحشا والضلوع
ضناً بك عن سكن الأجداث ، ونزول الأرماس
فالرمائم للقبور
أما اللآلىء فانها للصدور والنحور

— ١٠ —

رجعنا عنك وقد شققنا القلوب والأجفان ،
لا الجيوب والأردان
ونفضنا أيدينا من أنفسنا ، بعد أن نفضناها منك ،
فلا كدر بعدك ولا صفاء
ولا سعادة ولا شقاء

— ١١ —

كل يوم للزمان فينا جولة
وله على مسرح حياتنا صولة

ونحن اليه ساكنون مطمئنون ، نرتع ونلعب ،
فيا لله للانسان ما أنساه !
وتباً للزمان ما أقساه !

— ١٢ —

نسر كاسر فوق حمام
وذئب ضار بين أغنام
تسمع النبأة فتجزع وتطير ، وتنقطع عنها فتسكن وتلهو ،
فهل يلين الزمان بعد قسوته ؟
وهل يصحو الانسان من سكرته ؟

— ١٣ —

سيبقى على قسوته الزمان
وسيظل على غفلته الانسان
لتتم كلمة القضاء القاهر ، فى سكان الدور والقبور ،
وليبتهج اللاعب بلعبته
وينعم بصولجانه وكرته

— ١٤ —

نبكى فتتزايل منا الأضالع ،
ونضحك فتنهل المدامع ،
فبريق الابتسامة ينذر بالويل ، كما ينذر وميض البرق بالصاعقة ،
فمتى نكون إذن مسرورين ؟
ومتى نكون هانئين وادعين ؟

— ١٥ —

أيها الملك القاهر !
أيها الصانع الماهر !
صنعت الأقداح وملأتها ، ثم عدت اليها فحطمتها وأرقتها !
فقطرات من دموع الفرح
الى بحار من دموع الحزن والترح

— ١٦ —

ليتك ما أخذت ولا أعطيت
وليتك ما أمت ولا أحييت
وليتنا بقينا بين طيات العدم وتحت أذيال الخفاء
فلم ننعم بنور الحياة
حتى لا نشقى بظلمة الممات

حلب — فتاة الفرات

١٨ ـ محاورات أفلاطون

الحوار الثالث

فيدون او خلود الروح

ترجمة الأستاذ زكي نجيب محمود

وما إنْ انتهى سقراط من هـذا الحديث حتى ساد الصمت فترة طويلة ، فبدا هو نفسه ، كما بدا معظمنا ، كأنما نفكر فيما قيل ، إلا أن سيبيس وسمياس تهامسا بكلمات قليلة ، فلما لحظ ذلك سقراط ، استنبأهما عما ارتأيا فيما أقيم من دليل ، وهل لم يزل يعوزه التدعيم ، وقال : إن كثيرا منـه لا يزال عرضة للشك والطعن ، إذا ما صحت من أحد عزيمته أن يقلب النظر في جوانب الموضوع كلها ، وإن كنتما تتحدثان عن شيء آخر ، فخير ألا أعترضكما ، أما إن كنتما لا تزالان تشكان في الدليل ، فلا تترددا في أن تصرحا بكل ما تريانه ، ولنأخذ بما قد تقترحانه ، إن كان خيراً مما قلنا ، واسمحا لي أن أعينكما إن كان يُرجى لكما من نفع

قال سمياس : لابد أن أعترف يا سقراط بأن الشكوك قد ثارت في عقولنا ، وكان كل منا يحفز الآخر ويدفعه ليلقى السؤال الذي أراد أن يستجيب عنـه والذي لم يرد أحد منا أن يلقيه ، خشاة أن يكون إلحاحنا مضنياً لك في حالك الراهنة

فابتسم سقراط وقال : ألا ما أعجب ذلك ياسمياس ! ما أحسبني في أرجح الظن مستطيعاً إقناع سائر الناس بأنني لا أجد رزءاً في موقفي هذا ، مادمت عاجزاً عن إقناعكم أنتم ، وما دمتم على ظنكم أنني الآن أكثر مشغلة مني في أي وقت آخر . ألا تريان عندي من روح النُّبُوَّة ما عند طيور التّم [١]؟ التي إذا أدركت أن الموت آتٍ لا ريب فيـه ازدادت تغريداً عنها في أي وقت آخر ، مع أنها قد أنفقت في التغريد حياتها بأكملها ، وذلك اغتباطاً منها بفكرة أنها وشيكة الانتقال إلى الله ، الذي هي

(١) ما يسمى عادة بالأوز العراقي Swans

كهنته ، ولما كان الناس يشفقون هم أنفسهم من الموت ، تراهم يؤكدون افتراء أن طيور التم ، إنما تنشد مرثيةً في ختام حياتها ، ناسين أن ليس من الطيور ما يغرد من برد أو جوع أو ألم ، حتى البلبل والسنونو ، بل حتى الهدهد ، الذي يقال عنه بحق انه يغرد تغريدة الأسى ، وان كنت لا أومن أن ذلك يصدُقُ عليه أكثر مما يصدق على طيور التّم ، فهي إنما أوتيت موهبة التنبؤ لقداستها عنـد أبولو ، فاستطلعت ما في العالم الآخر من طيبات ، فطفقت تغنى لذلك وتمرح في ذاك اليوم أكثر مما فعلت في أي يوم سابق . كذلك أنا ، فاني أعتقد في نفسي بأنني خادم قد اصطفاه الله نفسه ، واني رفيق لطيور التم فيما تعمل ، فأنا أظن أن قد آتاني سيدي من التنبؤ موهبة ليست دون مواهبها مرتبة ، فلن أغادر الحياة أقل مرحاً من التّم [١] . فلا تحفلا بعدُ بهذا ، وتكلما فيما تشاءان ، وسلا عما تشاءان ، في هـذه الفترة التي يسمح فيها حكام أثينا الأحد عشر بالكلام

قال سمياس : حسناً يا سقراط ، إذن فسأنفض إليك مسألتي ، وسينبئك سيبيس بمشكلته ، فاني لأقول مجترئاً إنك تحس يا سقراط ، كما أحس أنا ، كم هو عسير أو يكاد يستحيل أن تبلغ في مثل هذه المسائل يقيناً ، مادمت في هذه الحياة الحاضرة ، ومع هذا ، فاني لأتهم بالجبن كلّ من لا يدلل عليها ما وسعه الدليل ، أو كلّ من خار به قلبه قبـل أن يخبرها من كل جوانبها [٢] . فينبغي للمرء أن يثابر حتى ينتهي إلى أحد أمرين : إما أن يستكشف حقيقتها أو يعلمها ، فان استحال ذلك فاني أحب له أن يأخذ بأقوم الآراء البشرية وأبعدها عن التفنيد ، وليكن ذلك طَوْفُه الذي يسبح به في الحياة ـ واني مسلّم بأنه لن يفعل ذلك

(١) هـذه الطيور تزداد تغريداً إذا ما اقتربت من الموت ، فيزعم سقراط أنها تفعل ذلك ابتهاجاً بالموت ، لما قد وهبها الله من مقدرة النظر إلى ما وراء الحجب واستطلاع النعيم الذي ستظفر به في الحياة الأخرى ، ثم يزعم أنه أوتى ما أوتيته هـذه الطيور من موهبة ، فهو لذلك لا يبتئس للموت

(٢) يعني سمياس أنه ولو أن البحث في مصير الروح بعد الموت أمر لا يمكن الوصول فيه إلى نتيجة حاسمة ما دمنا في هذه الحياة ، إلا أن من الضعف والخور ترك الموضوع بغير محاولة التدليل والتعليل ، فينبغي للانسان أن يبذل في ذلك وسعه ولو لم ينته إلى رأى قاطع

دون أن يتعرض للخطر ، إذا هو لم يستطع أن يجد من الله كلمة تسير به على هدى وطمأنينة

والآن فسأجسر ، كما تريدني ، على أن أستجيبك ، لأني لا أحب أن آخذ على نفسي فيما بعد أنني لم أدل برأيي في حينه الملائم ، فاني إذا ما قلبت النظر في الموضوع يا سقراط ، سواء أكنت وحدي أم كنت مع سيبيس ، بدا لي أن التدليل لم يكن حاسماً .

أجاب سقراط — إنني لأعترف يا صديقي أنك قد تكون مصيباً ، ولكني أحب أن أعلم في أي ناحية لم يكن التدليل حاسماً

فأجاب سمياس — في هذه الناحية : ألا يجوز أن يستخدم أحد هذا الدليل بذاته في القيثارة والانسجام — ألا يحق له القول إن الانسجام شيء خفي ، غير جثماني ، لطيف إلهي ، موجود في القيثارة المنسجمة ، ولكن القيثارة والأوتار ، مادة ، وهي مادة متألفة من أجزاء أرضية ، وترتبطها القربى بالفناء [1] ؟ وأنه إذا تحطمت القيثارة أو تقطعت أوتارها وتمزقت ، فان من يأخذ بهذا الرأي يدلل كما تدلل أنت ، وبالتشابه نفسه ، على أن الانسجام يبقى حياً ولا يفنى ، لأنك لا تستطيع أن تتصور ، كما يجوز القول ، أن تبقى القيثارة بغير أوتارها ، بل وتبقى الأوتار الممزقة نفسها ، على حين أن الانسجام الذي يمت بأسباب القربى إلى الطبيعة السماوية الخالدة يفنى — بل ويفنى قبل الذي هو فان . سيقول إن الانسجام لا شك موجود في مكان ما ، وإن الفناء سيصيب الخشب والأوتار قبل أن يصيب ذلك الانسجام ، وإني لأشك يا سقراط أنك ستأخذ ، أنت أيضاً ، في الروح بهذا الرأي الذي نميل جميعاً إلى الأخذ به ، وستذهب كذلك إلى أن الجسد إنما أقيم وارتبطت أجزاؤه بفعل عناصر الحر والبرد والرطوبة

(١) من الأدلة التي أقامها سقراط على خلود الروح أنها تشبه في صفاتها العنصر الالهي ، أما الجسد فمادة أرضية وإذن فلا عجب أن ينتهي أمره إلى الفناء . فيعترض سمياس بقوله لو صح هذا الدليل لكان الانسجام الموجود بين أجزاء القيثارة خالداً أيضاً لأنه في صفاته كذلك يشبه الالهي ، وأما جسم القيثارة فمثله مثل الجسد الانساني ، مركب من مادة أرضية ولذا فهو صائر إلى الفناء ، فان كان من المشاهد أن مادة القيثارة تبقى أمداً طويلاً حتى بعد تحطيم أجزائها ، فليس من المعقول — بناء على دليل سقراط — أن يكون قد فني الانسجام الذي كان بين تلك الأجزاء عند ما كانت متصلة في القيثارة

والجفاف وما إليها ، وأن الروح هي ما بين هاتيك العناصر من انسجام ، أو هي مزاجها المتزن المتناسب ، فان صح هذا نتج بداهة أن أوتار الجسد إذا ارتخت أو أجهدت بغير مبرر بسبب الفوضى أو أي فساد آخر فنيت لذلك الروح جملة واحدة [1] ، برغم ما بها من ألوهية غالبة ، مثل سائر الانسجامات التي تكون في الموسيقى أو آيات الفن ، ولو أن بقايا الجسد المادية ربما لبثت طويلاً حتى يدركها الفناء أو الاحتراق . والآن ، إن زعم زاعم بأن الروح تفنى أولاً فيما يسمى بالموت ، باعتبار أنها ما بين عناصر الجسد من انسجام ، فبم نجيبه ؟

(يتبع) زكي نجيب محمود

(١) يقول إن الشبه تام بين الانسان والقيثارة ، فجسده يشبه مادتها الخشبية ، وروحه تماثل الانسجام الذي بين أجزائها ، فان كان الأمر كذلك جرى على الانسان ما يجري على القيثارة ، فالقيثارة إذا فسدت أوتارها مثلا تلاشى انسجامها وزال ، كذلك الانسان — على هذا الأساس — إن فسد جسده بالمرض أو الاعياء ، أو أي شيء آخر فنيت الروح مع بقاء الجسد ، على الرغم من ألوهيتها وأرضيته ، وهو هنا يستوضح سقراط رأيه في هذا الاشكال

من أدب الهند

٢ - الأمير خسرو

الشاعر الهندى الكبير

بقلم السيد أبو النصر أحمد الحسينى

الهنـدى

قبل أن نلق نظرة فى شعر «خُسْرَوْ» يجدر بنا أن نبين معنى الشعر والغرض منـه فى صوره المختلفة عنـد كبار المفكرين حتى يتمكن القارىء من الحكم على شعره بما هو خليق به

قال جانسون : إن الشعر هو توحيـد اللذة مع الحق ، يدعى فيه الخيال لمساعدة العقل . وعنـــد استيوارت مل : الشعر هو ما يتوقف على الفكر والـكلمات التى تجتمع العاطفة فيها من تلقاء نفسها . وقال ميكاليه : إننا نعنى بالشعر استعمال الكلمات بطريق أن يوجد الوهم على التخيل ، وهو فن يعمل فيه الشاعر بالكلمات ما يعمله الرسام بالألوان . وقال الأستاذ كورتهوب : إنه فن إيجاد اللذة بالتعبير الصحيح عن الفكر الخيالى والعاطفـة فى كلام موزون . وقال الشاعر نظامى العروضى السمرقندى من المسلمين : إنه فن يرتب به الشاعر القضايا الخيالية ويخلطها بالتشبيهات المثمرة ، ليستطيع أن يظهر الصغير كبيراً ، والـكبير صغيراً ، أو يظهر الخير فى لباس الشر والشر فى لباس الخير

نستنبط من التعاريف المذكورة المختلفة للشعر ، أن الشعر هو تعبير عاطفى خيالى عن الحياة كما تصوغ نفسها فى فكر المعبر - هو معالجة الحقـائق والتجارب والمسائل بطريق يسود فيـه العنصر الخيالى . والشعر ينقسم إلى قسمين : داخلى أو شخصى ، وخارجى أو غير شخصى . ففى الأول يوجه الشاعر جل عنايته إلى نفسـه يستوحى ويستلهم عواطفـه الخاصة وتجاربه الذاتية . وفى الثانى يتوجه إلى غيره يعامل العالم الخارج عن نفسه بغير الاستناد إلى ذاته وشخصه . والأول يشمل جميع أقسام الأناشيد والشعر الغنائى مثل الغزل والنسيب وأناشيد الوطنية والروحانية الخ ، كما يشمل الشعر الفلسفى والفكرى . وأما الثانى فينقسم إلى قسمين : قصصى وتمثيلى . فالشعر المختص بالملاحم والفروسية والأساطير من أهم أصناف الشعر القصصى . والتمثيلى هو ما يقدم لك صوراً واضحة لسجايا الأشخاص المختلفـة ، وأخلاقهم فى حكاية تُمثل

فى ضوء هذه التعاريف للشعر وأصـنافه ونواحيه المترامية الأطراف حين نلق نظرة على شعر خسرو نجد أن عبقريته الشاملة لم تترك نوعاً من أنواعه ولا ناحية من نواحيه إلا باشرتها بالاجادة والابداع . فهو قد أتقن جميع أنواع الشعر اتقاناً حقيقياً . وأنتجت قريحته فى جميع نواحى الشعر انتاجاً نال استحسان كبار الشعراء والنوابغ فى زمنه وفيما بعد . وهذه مزية لم توجد فى غيره . فان غيره من شعراء اللغة الفارسية لم يقدر أحد منهم لا قبله ولا بعده ، ولا فى الهند ولا فى بلاد فارس ، أن يقول الشعر ويحاكى إلهامه الشعرى فى أكثر من صورة واحدة أو صورتين من أنواع الشعر

فملوك الشعر الفارسى يعدون ستة : فردوسى ، وسعدى ، وأنورى وحافظ ، وعرفى ، ونظيرى . ولـكن مملكة كل منهم لم تتعـد حدود نوع واحد من أنواع الشعر . فالفردوسى لم يقـدر أن يتجاوز حدود المثنوى ، وتصنيفه فيـه هو الملحمة الـكبيرة المسماة شاهنامه ، وقد نشر ترجمتها بالعربية صديقنا الأستاذ عبد الوهاب عزام . وسعدى كان ملك الغزل ، ولـكنه لم يقـــدر أن يجيد القصيدة ولا المثنوى ، كما أن براعة أنورى كانت محدودة فى القصيدة ، ولم تكن قادرة على الغزل المثنوى . كذلك حافظ ونظيرى وعرفى كانوا نوابغ فى الغزل ، وغير قادرين على أنواع الشعر الأخرى . ولـكن ذكاء خسرو الجامع المتسع لم يقتصر على واحد منها بل تناول « غزلاً » كما تناول « مثنوياً » وعالج « قصيدة » كما عالج « رباعياً » بغاية الاجادة والاتقان فى جميع نواحيها ، حتى لم يترك الأصـناف الصغيرة الأخرى من الشعر الفارسى مثل « مستزاد » و « صنايع » و « بدايع[1] »

هذا من حيث أنواع الشعر ، وأما من حيث كمية الانتاج ، فنجد أنه لا يوجد له ند فى ذلك أيضاً . فان عدد الأبيات للفردوسى لم يزد على ثمانين ألفا ، كما أن عدد الأبيات للشاعر الفارسى صائب لم يزد على ألف ، ولـكن ما جادت به قريحة خسرو يبلغ بضع مائة ألف بيت . فقد ذكر غير واحد من المؤرخين فى

(١) إن «غزل» و «قصيدة» و «مثنوى» و «رباعى» و «مستزاد» و « صنايع » و « بدايع » كلها أنواع الشعر الفارسى ، فمن أراد التفصيل فليراجع تاريخ الأدب الفارسى للأستاذ براون المجلد الثانى

كتبهم أن عدد الأبيات الفارسية له يتراوح بين ثلثمائة وأربعمائة ألف . وفي بعض الروايات ستمائة ألف

كان خسرو يجيد بضع لغات إجادة تامة . فكان يتقن التركية لأنه كان من أصل تركي . والفارسية لأنها كانت لغة دينه ، والأردية لأنها كانت اللغة الشائعة بين الناس . ولم يكن خسرو جاهلا السنسكريتية لغة جيرانه الوثنيين المقدسة . فقد اعترف في كتابه « نه سبهر » بكل تواضع حيث قال : « عندي إلمام بتلك اللغة أيضاً » . وعلى ذلك لم يكن خسرو شاعراً بالفارسية فقط ، بل باللغات الأخرى أيضاً . بيد أن أكثر آثاره قد ضاع ولم يبق إلا القليل الذي بالفارسية والاردية

يعد خسرو من مؤتنف شعراء اللغة الاردية ، لأنها كانت حينئذ في دور التكوين . فقد غذاها بالأناشيد والنكت والطرائف والكتب الدراسية للأطفال شعراً ، ولا تزال شائعة بين الهنود وإن مر عليها أكثر من ستة قرون . وقد ذكر المؤرخ أوحدى في كتابه « تذكره معرفت » أن إنتاج خسرو في اللغة الاردية يساوي إنتاجه في الفارسية . فان صح ذلك فمن الأسف أن لم يبق من ذلك الأثر العظيم الا نزر يسير

لم يكن خسرو شاعراً فقط ، بل كان ناثراً كذلك وان قل إنتاجه في النثر بالنظر إلى إنتاجه في الشعر ، فله غير واحد من الكتب الضخمة نثراً . اعترف أهل الفن بطول باعه فيه أيضاً . وجميع منظوماته باللغة الفارسية التي توجد في الهند هي كما يلي : —

١ — من نوع المثنوي

(١) مطلع الأنوار : نظمه في مدة أسبوعين في سنة ٦٩٨ هجرية وهو في التصوف ، وقد نهج فيه منهج نظامي (الشاعر الفارسي الشهير) في كتابه « مخزن الأسرار » ويحتوي على ٣٣١٠ أبيات

(٢) شيرين وخسرو : نظمه في نفس سنة ٦٩٨ هجرية وهو يحتوي على حكاية عشق خسرو[1] لشيرين وكلاهما من أبطال الحب في الأدب الفارسي مثل مجنون وليلى في الأدب العربي . وعدد الأبيات فيه ٤١٢٤ بيتاً

(٣) ليلى ومجنون : صنفه في نفس السنة المذكورة وهو يشتمل على ٢٦٦٠ بيتاً

(٤) آيئن اسكندري : صنفه في سنة ٦٩٩ هجرية ونهج فيه منهج « سكندرنامه » للنظامي وعدد أبياته ٤٤٥٠ بيتاً

(٥) هشت بهشت : أتمه في أوائل سنة ٧٠١ هجرية وقد نهج فيه منهج « هفت بيكر » للنظامي ، وعدد الأبيات فيه ٣٣٨٢ بيتاً

وهذه الكتب الخمسة المذكورة يقال لها « بنج گنج » أو « خمسة خسرو » تدل على سرعة انتاج المؤلف إذ هي تحتوي على ١٧٩٢٦ بيتاً وقد صنفها في سنتين ونصف سنة . وللنظامي أيضاً خمسة كتب في نفس الموضوع ، ولكن أكثر الشعراء رجحوا « خمسة خسرو » على « خمسة نظامي » . ومنهم عبد الرحمن جامي فانه قد رجحه في كتابه « بهارستان »

(٦) قران السعدين : صنفه في سنة ٦٨٨ هجرية حينما كانت سنه ٣٦ سنة عن طلب السلطان معزالدين كيقباد ، وهو يحتوي على حكاية مقابلة كيقباد لأبيه بغراخان مسالما مع خروجه له محارباً

(٧) تاج الفتوح : ملحمة تحتوي على حكاية فتوحات السلطان جلال الدين خلجي صنفها في سنة ٩٠ — ٦٨٩ هجرية

(٨) نه سبهر (أي الأفلاك التسعة) صنفه في سنة ٧١٨ للسلطان قطب الدين خلجي ، فسر به كثيراً وأنعم عليه بفضة تساوي وزن الفيل كما قيل

(٩) دَوَلْ راني خضرخاني : وهو يحتوي على بيان حب خضرخان بن السلطان علاء الدين لدول راني بنت راجا گجرات وانتهائه بالزواج

٢ — من نوع الغزل

(١٠) تحفة الصغر : يحتوي على شعره الذي قاله بين ١٦ و ١٩ من سنه ، ويشمل الغزل والنسيب

(١١) وسط الحياة : يحتوي على شعره الذي قاله بين ٢٠ و ٣٣ من سنه

(١٢) غرة الكمال : يحتوي على شعره الذي قاله بين ٣٤ و ٤٤ من سنه ، وقد كتب في مقدمته ترجمة حياته بالايجاز

٣ — من نوع القصائد

(١٣) بقية نقية : يحتوي على شعره إلى سنة ٧١٥ هجرية وفيه رثاء السلطان علاء الدين خلجي أيضاً

(١٤) نهاية الكمال : يحتوي على شعره في آخر سنه ، وفيه رثاء السلطان قطب الدين خلجي وقصيدة في مدح ولي عهده

(١٥) جواهر البحر : لم أره

(١٦) خزائن الفتوح : صنفه للسلطان علاء الدين خلجي

---

(١) ان خسرو هذا غير شاعرنا المترجم هنا

عظة البدر

للأستاذ « أبى أحمد »

البدر يرعانى وأرعاه قد يمكر الجلاس إلاه
أبثه من زفراتى فلا لغيره يأمن أواه
يسرى على الليل رفيقَ الخُطا يضىء أقصاه وأدناه
تلوح فيه الأرض موشيَّة من أقصر النبت وأسماه
لمثل ما أبصر من منظر تُغتفر للدهر خطاياه

***

وساحر الأجفان حلو اللمى ضعيف كر الطرف تياه
حديثه مثل دبيب المنى يبسم والدرُّ ثناياه
حسبى من اللذة أنفاسه ومن رضِىِّ العيش لقياه
قد تمت الغبطة فى ليلة قلّ لها فى الدهر أشباه
ما العيش إلا ما يلذ الفتى ولذة الحب قُصاراه

***

سألت هذا البدر كم منظرا رأى على الدهر بمسراه
قال ولم تَطرف له مقلة ولم تحرك منه ذكراه :
« هاتيك مَنْفيس بها ما بها من أرحب القصر وأعلاه
يلوح عن بعد بها موكب أخراه لا تبدو لأولاه
حتى إذا أبصرت أعلامه وخرَّت الناس لمرآه
عرفت رب الملك فى عرشه حسبك منه خُبْر سيماه
وذاك فى بغداد قصر سما يضىء فيه العز والجاه
وربه فى مجلس باهر مؤتلق تبهر رؤياه
وحوله من كل حورية هاروت فى الأجفان مثواه
يأخذ عنها الطير ألحانه ويأخذ النرجس رياه
واليوم لا مَلْك ولا موكب إلا طلولاً من بقاياه
وها هو العالم فى سيره كأنما لم يَعْفُ مغناه ! »

حياة قُرْچى ونَتْرَز

[عن الناشئة البيضاء]

للأستاذ فخرى أبو السعود

بآمالها عاشت وفى ذِكرياتها تخيَّلُ أحباباً لها خطَرَاتها
تُؤانسُ أشتاتَ الطُّيوف وإنَّها لآنَسُ ما تُلْفَى لدَى خَلَواتها
تَموج بجُلَّى الحادثات حياتُها على ضِيق مثواها ونَزْرِ لِداتها
على حُبِّ مَن يَرْعى هواها مقيمة وإن لَجَّت الأقدارُ فى جَهَلاتها
تُصاحبُهُ فى حِلِّه ورحيلِه وماجاوزَتْ يوماًمَدَى حُجُراتها
وتَبلُغ وَهْماً ما اشْتهَت مِنْ وِصاله إذا ضنَّت الدُّنيا بمُشْتَهَياتها
وتصبر عاماً كى تفوزَ بوَصْلَةٍ فيا شدَّ ما تَلْقَى وطُولَ أناتها
وتمشى خيَالاً فى مَوَاكب نَصْره إذا أَقْبَلَتْ تختال فى خافقاتها
وتَحسَبُ مجداً نالَهُ مِن فَخَارِها تقاسمه إيَّاه فى نَشَواتها
وماساءها وَهْوَ الوَفِىُّ أن اغتدى جميعُ الورى فى حبِّه من عُداتها
وقالوا فلم تحفل بقَوْلة لائِم وَبَنَّ فلم تطلبُ رِضَى هاجراتها
وكان لها الدنيا وكان لها الورى وكانت له فى ليلها وَغَدَاتها

---

(١٧) تغلق نامه : صنفه للسلطان محمد تغلق فى سنة ٧٢٥ هجرية ، وهو آخر تصانيفه

٤ — من أنواع الشعر الأخرى

(١٩) رسالة نصر : لم أره

(٢٠) مقالة : احتوت على أحوال الخلفاء الراشدين مع رسالة فى التصوف

(٢١) خالق بارى : كتاب للتدريس يحتوى على مفردات اللغات المختلفة المنظومة

٥ — مصنفاته بالنثر

(٢٢) إعجاز خسروى : فى علوم البلاغة فى خمسة مجلدات

(٢٣) إنشائى أمير خسرو : فى علم الانشاء

(البقية فى العدد القادم) السيد أبو النصر أحمد الحسينى الهندى

وزاد هواها رقةً ذكرُ طفلةٍ ... لها منه يزهو الحُسنُ فى قسماتها
تُسامُ ابتعاداً عن فتاها وبنتها ... وإنهما أدنى لها من لهاتها
وترصُدُ أحياناً لفلذةِ قلبها ... لترويَ منها الطرفَ فى غدواتها
فياطيبَ ريّاها وعذبَ ابتسامها ... ولُطفَ محياها وسحرَ التفاتها
وطوبى لها لو تستطيع احتضانها ... وإطفاء حرِّ القلب من قبلاتها
وتقبيلَ كفّيها ولثمَ ثغيرها ... ورشفَ ندىِّ الحُسنِ فى وجناتها
وإذ كان ذاك الشملُ يلتامُ بعدما ... تراءى بياضُ الشيبِ فى شعراتها
وبشّرها بالوصلِ صاحبُ وُدِّها ... بوصلٍ به لا تتقى عاذلاتها
أبى الحَينُ ماراما وخرَّ مُضرَّجاً ... على قدميها لا يعى دعواتها
ودانوا به مَن شيّعتْ فيه روحها ... ومَن لو أطاقتْ لافتدتْهُ بذاتها
ومرَّ بها فى السجن ماضى رُفاتهِ ... إلى قبره يُذكى شبا حسراتها
تحنُّ له فى وحشةِ السجنِ لهفةً ... وتُذرى عليه وحدها عبراتها
وزفّوا إليها العفوَ من بعدِ حِجّةٍ ... فلم يلقَ منها العفوُ غيرَ صُماتها
وما هزَّ قلباً للحياة مُطامناً ... بأرزائها تعتامُ أو حسناتها
تساوتْ لديها نضرةُ الروض فى الضحى ... وأحناء ذاك السجن فى ظلماتها
وهيهات ما من صادعٍ لإسارها ... سوى الموت أو من كاشفٍ غمراتها
وراحت تُقضّى العمر فى فَيْءِ بنتها ... ولم يبقَ منها غيرُ طيفِ حياتها
حطامُ أمانٍ أو بقيّـةُ مهجةٍ ... قضتْ ليس يحيا ثمَّ غيرُ رفاتها.

فخرى أبو السعود

الهرُّ المُرائى

هِرّى أراك تودُّنى بتملق ... لولا القِرى ما كان مثلك ودَّنى
مالى أراك تخصنى بحفاوة ... ويميل ذيلك فى الهواء وينثنى
إن الرياء لظاهر يا صاحبى ... لولا اشتياقك للطعام هجرتنى
فلعلة الطمع الوضيع ألفتنى ... ولغاية الشَّرَه الخسيس صحبتنى
فاخلع رداء الذل والملق الذى ... يقذى العيون بشكله القذر الدَّنى
واقنع برزقك فالقناعة نعمة ... إن القنوع مدى الحياة هو الغنى

محمد عثماوى صقر

ذَكْوان

للأستاذ زكى المحاسنى

« مهداة الى الصديق النابغة على الطنطاوى »

ذَكْوانُ أنشدنى أرقَّ النشيدْ ... أنتَ أغانىَّ وأنتَ القصيدْ
ناغِ ولا تبكِ فإنَّ البُكا ... منكَ مُذيبٌ لفؤادى الوَدُودْ
عُمرُكَ عشرونَ صباحا ولِى ... عشرونَ عاماً فى هَواكَ العَميد
جئتَ إلى الدُّنيا برغمٍ كما ... جئتُ أنا، لكننّا لا نُريد
غداً ستنمو وتُحبُّ الهوى ... مِثلى ويُغريك العُلَى والجدُودْ

***

نظرْتُ فى شِعرِ المعرّى فما ... أمالنى نحوَ الرّدَى واللُّحود
يوَدُّ أنْ يهدمَ هذى الدُّنى ... وأكرهُ الخلقِ إليهِ الوَلُودْ
سألتُهُ: لو كنتَ ذا رؤيةٍ ... وذُقتَ تقبيلاً ولَمْسَ النُّهودْ
لطوّحتْ عقلَكَ برّاقةُ الخمـ ... ـرِ وأسقتْكَ الهوى كلُّ رُودْ

***

إرضعْ أيا طفلِىَ منْ درّةٍ ... واهتزَّ فى مهدِكَ حُلوَ الرُّقُود
ماذا ترَى فى طولِ هذا الفضا ... تعىَ به إن شئتَ دَرْكَ الحدود
أملِئْ بكفّيكَ مدى إصبعى ... وانظرْ إلى وجهى وخلِّ الكمُودْ
أمُّكَ تفديكَ بوقدِ الحشا ... فديتُها عصماءَ ترعى العُهُودْ
أدعو لذَكْوانَ مديدَ البقا ... وأرتجى فى قومِهِ أنْ يسود
أتى وللعيـد تباشيرُه ... فكان لى فى عُمرى خيرَ عيد

(دمشق)

زكى المحاسنى
المحامى

في الأدب الانجليزي الحديث

بيرون وشلي وكيتس (١)

للأستاذ بشير الشريقي

بيرون Byron وشلي Sheley وكيتس Keats هؤلاء الأقانيم الثلاثة من أعظم شعراء الانجليز وأشهرهم . عاشوا في القرن التاسع عشر الميلادي وامتازوا بشعرهم الوجداني وطريقتهم الخيالية لابتداعية ، لم يتكلموا إلا عن مشاهدة وتصور واعتقاد ، ولم يتقيدوا تقيد المدرسين بالصناعة اللفظية ولا بالحقائق العلمية

لقد خصت الآلهة الشعراء الثلاثة بأقل نصيب من العمر ، فقد كان سن بيرون يوم ثكلته عرائس الشعر ستة وثلاثين عاماً فقط ، وشلي ثلاثين ، وكيتس ستة وعشرين ؛ ولكنهم وإن لم يُنسأ في آجالهم استطاعوا أن يملأوا أرجاء هذا العمر بأوفر نصيب من الشعر القوي والاعتراف الشجي والنسيب الفتي ، لقد هتكت عن أنظارهم مسدلات الحجب ، فجرى عنهم غير ما في الكتب

اللورد بيرون

١٧٨٨ — ١٨٢٤

إذا كان رأي أدباء اليوم ، أدباء القرن العشرين ، في اللورد بيرون كرأي معاصريه فيه ، وجب أن يعد هذا النبيل الجميل أنبغ شعراء الانجليز من غير نزاع ؛ لقد ظفر بشهرة لم يظفر بها أحد سواه ، وعلى يديه انتظم الشعر الانجليزي لأول مرة ساحة الشعر الأوربي

في عام ١٨٢٠ نظم لامرتين قصيدة غراء كلها إعجاب ببيرون ؛ وكذلك تنبأ ماثيو أرنولد أن الأمة البريطانية يوم تحتفل في ختام عام ١٩٠٠ بذكرى شعرائها الأعلام ، شعراء القرن التاسع عشر ، سوف تضع اسم بيرون في طليعة عباقرة الشعر

لم يكن بيرون فناناً عظيماً ولا ثاقب النظر ، ولم يجد فيه العالم إلا أنموذجاً في صناعة الشعر ، ولكنه كان في ذاته صورة مغرية في الربع الأول من القرن التاسع عشر ؛ اتحدت شخصيته بشعره لدرجة صعب معها التفريق بينهما ، وحتى قالوا : حياة بيرون هي أحسن شعر بيرون ؛ وقد تحدر من عائلة تُوُورِثَ بين أفرادها على ما يظهر ضعف الأعصاب ؛ كان والده رجلاً شريراً فظاً ، وكانت أمه متقلبة شديدة ، وتوفي عمه وهو في سن العاشرة ، فانتقل اليه لقب اللوردية ، وهكذا لم يكن في ثقافة بيرون ما يعلمه ضبط النفس أو إنكار الذات في سبيل الصالح العام ، فثار حين ألقي الى تيار الزمن على مضايقات المجتمع ومضايقات القانون التي صدمته في رغباته الخاصة

لقد وُجد — لا نقول ثقف — في مدرسة « هارو » ومن ثم في « كمبردج » ، ثم قام بسياحة استغرقت عامين ، واليونان هي التي صيرته شاعراً ؛ وحين عاد الى وطنه ، وكان قد نشر وقائع رحلته في الفصلين الأولين من كتابه « تشايلد هارولد » Childe Harold ، وجد نفسه شاعراً محبوباً مشهوراً

وأصبح بيرون الشاعر الجميل محور الحياة الماجنة في لندن ، منغمساً في المداعبة واضعاً نفسه بين يدي هواه من النساء ، ثم يتزوج في سنة ١٨١٥ بالآنسة ملبانك Milbanke ، ولكن تهجره زوجه بعد أن تضع له طفلة وقبل أن يمضي على زواجهما عام واحد ، والى الآن لم يقف أحد على السبب الحقيقي لهذا الهجران ، غير أن الناس انتصروا يومذاك للادي بيرون ، وفي سنة ١٨١٦ ترك زوجها انجلترا الى غير رجعة ، فعاش في سويتزرلاند (سويسرا) وإيطاليا ١٨١٦ — ١٨٢٤ ينظم أحسن شعره ويتسلى بصداقة شلي ، وينعم منذ ١٨١٩ بأكثر من صداقة الكونتيس كويسيولي Guiccioli

وهنا لا يغرب عن البال أن هذا الشاعر بينما كان يطلب لنفسه لذتها ولهوها ويرى في الأنانية دستور الحياة ، نجده قد تأثر الى أقصى حد بالروح الوطني العام الذي انبعث في أيامه في بلاد اليونان ، إنها الرغبة في مساعدة الغير على نيل الحرية هي التي رمت به سنة ١٨٢٣ في القضية اليونانية وجعلته يطالب لليونانيين بالاستقلال عن الأتراك

ذهب اللورد بيرون الى اليونان وساعد على إيقاظ شعور القوم الوطني وفي توحيد كلمتهم حتى جعلهم كرجل واحد في معركة الحرية والاستقلال ، وفي «ميسولونيا» أصابته الحمى فهدت جسمه الذي أضنته حياة الفوضى التي غرق فيها هذا اللورد الشاب

إن في موته وحيداً في بلاد الغربة ما يحز في القلب ، لقد كان أشبه ما يكون بقبس لطيف من نور الشمس الذهبي ألقي وسط العالم في يوم مظلم عاصف

* * *

لشعر بيرون تأثير في القلب ، وعلوق بالنفس ، لأنه استطاع

(١) مترجم عن كتاب : The Story of English Literature Anna Buckland
وكتاب : Modern Englieh Literature Wyatt Clay

أن يصور به حياته وهى كما رأيت شائقة غاوية ، حياة شاب جميل موسر انغمس فى اللذات وانكب على الملاهى حتى مل وسئم ، حياة لهو ومخاطرة ، يتخللها شك مقلق وتبرم من الأقدار التى قضت على كل طيب وجميل بالانحلال البطىء والموت السريع

وفى الحق كان كل ما أخرجه الشاعر للناس قوياً عجيباً فاتناً من باكورة شعر « ساعات البطالة Hours of Idleness » الى « عروس أبيدوس Bride of Abydos » ، من الفصلين الأولين من « تشايلد هارولد » الى الفصلين الأخيرين منه ، من القصص الشرقية ، الى الأغانى العبرية ، من «سجين تشيلون Prisoner of Chillon » (بونيفار الذى صدّ هجوم دوق سافوى عن جنوه) الى القصيدة الروائية « مانفرد Manfared » التى نظمها فى إيطاليا على نسق رواية « فوست » وذكر فيها السحر والأرواح وخوارق الطبيعة ، من « يوم الحساب » وهى من أقوى الهجاء الحديث الى « الدون جوان » من رثاء تاسو Tasso (الذى اعتقل بتهمة الجنون لأنه أحب ليونورا ابنة الدوق) الى «مارنيو فاليرو Marino Faliero » المأساة التاريخية — كان يرافق عبقرية بيرون سهولة تامة وقدرة عجيبة فى التعبير عما يجيش به صدره

وهنا علينا أن نذكر أن فى اللورد بيرون الفنان ، عللاً كثيرة ، فهو لا يكاد يحسن صناعة الشعر ولا ربط الفكر ولا اختيار المناوين ، ذو أسلوب بسيط مضطرب ، ولكن على الرغم من كل ذلك فان وليام فورس يقول عنه إنه أعظم ذخيرة أدبية فى هذا القرن التاسع عشر

إنه شاعر الحرب ، لهذا سوف لا نقدر على وفاء حقه فى هذه الأيام التى يسود فيها السلام

برسى شيـــلى

١٧٩٢ — ١٨٢٢

ولد شلى عبقرياً مفرداً فلم يكن له مثيـل فى بارونية من البارونيات الانجليزية الفنية ، لقد قاوم وهو يافع ، ما كان يسود فى طبقته من آراء وعقائد وتقاليـد ، وفى مدرسة « إيتون » وفى جامعة « أكسفورد » كان فى تصادم دائم مع « المحافظين »

نشر عام ١٨١١ مقالاً بعنوان « حاجتنا إلى الجحود » طلب فيه من جميع مديرى الكليات أن ينزلوا إلى مناقشة آرائه وتفنيد هرطقته مما أدى إلى طرده من الجامعة . وفى ذلك العام تزوج بهاريت ويستبرون ، وهى فتاة فى سن السادسة عشرة ؛ ولدت له طفلين ثم هجرها عام ١٨١٤ من أجل مارى كودوين ابنة وليام كودوين الكاتب الروائى والسياسى ؛ وبعد عامين ، حين أغرقت هاريت نفسها فى التيار ، أصبحت مارى كودوين السيدة شلى ولكن محكمة تشانسرى حرمت الشاعر حضانة ولديه

وفى عام ١٨١٨ ترك شلى انجلترا إلى إيطاليا حيث قضى بقية عمره وكان دائم الاتصال باللورد بيرون

***

أحسن شعر شـلى ظهر فى السنوات الأربع الأخيرة من عمره ، وبعبارة أخرى أن شعره لم ينضج حتى سنة ١٨١٨ ، ومن أقوى وأمتن قصـائده الطويلة ، الروايتان الغنائيتان « ميتوس الغير محدود » و « هيلاس » . وتمثل هيلاس يقظة لليونان وتأييد العالم لهم فى ثورتهم على الأتراك

ولـكن إذا كانت إجادة شلى تامة فى هذه القصائد الطوال فان ابداعه كان عظيماً كذلك فى مقطعاته الغنائية التى نذكر منها قصـيدة « القبّرة » و « الضباب » و « أدونيس » و « غناء كونستانيا » و « الريح الغربية » و « إلى الحرية » و « إلى المساء »

***

كان شلى من بين الشعراء أجمعين شاعر المثل الأعلى ، استطاع أن يتصور فى أخلاق الانسان وحياته كمالاً هو أسمى بكثير مما عرف حتى الآن

لقد ثار على كل ما يحط من قدر الانسان ويحول دون تطوره السامى مدفوعاً بحبه العظيم للانسان وإيمانه بزمن آت هو خير من زمانه

وقد أدرك بواسع علمه وثاقب رأيه أن فكرة الانسان عن الله تتناقض كثيراً وفكرة الحق والعدل والحقيقة ، وهكذا يشوه التلون الانسانى الصورة الالهية كما يشوه زجاج نافذة مصبوغ جسماً تراه من خلاله ، أوكما يوضح شلى ذلك فى قوله :

الحياة أشبه ما تكون بقبة من زجاج كثير الألوان
تلطخ أضواء الأبدية البيضاء
إلى أن يحطمها الموت

فان كنت تود أن تلتقى بهذا الذى تفتش عنه فمت إذن !

- تطلع شلى تطلع مشتاق إلى يوم قريب يتحقق فيه المثل الأعلى ، وعلق آمالاً كباراً على الثورة الفرنسـية ، ولـكنه حين شاهد ما منيت به النظريات السياسية من فشل أحس بيأس مؤلم

لو طال عمر شلى لاعتنق مبادئ « وردزوس » الاصلاحية

ولقال معه إن تقدم الجنس البشرى يتوقف على رقى الفرد وتطوره ، ولكنه عاش حياة قصيرة . ولد عام ١٧٩٢ وغرق عام ١٨٢٢ بانقلاب قارب أثناء اجتيازه خليج اسبيزا ، ولما أخرجت جثته من البحر أحرقت على الشاطئ بمحضر من اللورد بيرون وبعض الأصدقاء ودفن رمادها فى مقبرة البروتستنت فى روما وقد كتب على قبره هذه الكلمة « قلب القلوب »

جون كيتس

١٧٩٥ — ١٨٢١

يرقد كيتس حيث يرقد رماد شلى فى مقبرة البروتستانت فى روما ، وقد نقش على قبره تنفيذاً لرغبته هذه الجملة « هنا يرقد من أشبهت ذكراه سفراً ألقى فى الماء »

ولد من أبوين غير شاعرين ، فكان والده يعمل فى اسطبلات الخيل المعدة للأيجار فى لندن ، ولكن سرعان ما أصبح هذا الشاعر « اللندنى » شاعر اليونان الحديث ، سرعان ما أصبح هذا الطبيب « تحت التمرين » رسول الجمال ، وموجد المدرسة المنسوبة خطأً الى تنسون Tenyssonian School

اهتم كيتس بدراساته الطبية ، ولكنه لم يجد لها طعماً ، فهجرها عام ١٨١٧ وهو العام الذى ظهرت فيه مجموعته الشعرية الأولى . وفى عام ١٨١٨ ظهرت له قصيدة « أنديميون Endymion » فانتقدتها المجلة « الفصلية » ومجلة « الغابة السوداء » انتقاداً لاذعاً سفيهاً آلم الشاعر كثيراً ، ولكن هذا الظلم الأدبى ليس هو الذى عجل بموت كيتس كما ظن شلى ، وإنما داء السل هو الذى كان علة موته الباكر

ظهر أجود شعره عام ١٨٢٠ ، وفى ختام هذا العام رحل الى « نابلز Naples » يرافقه صديقه « سيفرن » الذى وقف على العناية به امرأة طيبة ، ظلت مخلصة فى خدمته الى أن توفاه الله فى روما فى شهر شباط سنة ١٨٢١

* * *

لقد نضجت عبقرية كيتس بسرعة مدهشة كما نضجت عبقرية شلى ، وعلى الأخص ذوقه الفنى إذ سرعان ما صلح ، وسرعان ما كمل

قد تكون قصيدة « أنديميون غنية فى الكلمات وفى الصور ، أما فيما عدا ذلك فلم تكن بذات خطر . إنها تظهر رغبة الشاعر فى جمال الأسلوب فحسب . ولكن إن نحن انتقلنا الى مقطوعاته اليونانية الأخيرة التى وصفها بيرون بأنها « سامية سمو ايشيلوس » أدركنا الفارق العظيم بين شعره الأول وشعره الآخر الذى منه « لميا Lamia » وهى قصة شاب اقترن بأفعى متخذة صورة امرأة جميلة ، و « ازابيلا » التى تكشف لنا عن مقدرة كيتس التامة فى تأليف القصص الشعرية ، و « الأناشيد الستة » الباقية على الزمن

وما الذى كان ليُعْجز عبقرية كيتس لو قدر لها أن تعيش ؟ إن موته المبكر كان أعظم نكبة حلت بالشعر الأنجليزى ، لقد استطاع أن يتعلم من فنه ومرانه وجده خلال البرهة التى مرت بين نظمه « لأنديميون » ونظمه « الأناشيد الستة » ما لم يتعلمه شاعر انجليزى آخر فى مثل هذه الفسحة من الزمن

* * *

لكى نتفهم نفسية هذا الشاعر ننقل هنا بعضاً من أقواله :

« أنا رجل إحساس أكثر منى رجل تفكير »

« ليس فىّ حس يمكن أن يخضع للجمهور أو لأى شئ فى الوجود ، إنما يأسرنى الكائن الخالد ، والجمال الخارق ، وذكرى الرجال العظام »

« لم أستطع أن أعيش من غير حب أصدقائى ، وإنى لأقفز إلى أسفل جهنم من أجل الصالح العام ، ولكنى أكره الشهرة التى تقزز النفس . »

« قد سبب لى نقدى لنفسى من الألم مالم يسببه نقد المجلة « الفصلية » أو نقد مجلة « الغابة السوداء »

« حين أشعر بأنى على حق أحس بنشوة طرب لا أحس بها حين يثني علىّ الناس »

« أرى أنه لا يوجد مطلب يستأهل الطلب ، اللهم فكرة عمل الصالحات »

« ليس أمامى سوى طريق واحدة »

« أحسن أنواع الشعر ، هو ما أهتم له وما أعيش له »

« سوف لا أخلف ورائى حين أموت عملاً خالداً ، سوف لا أخلف ما يثير إعجاب الأصحاب عند ذكراى ؛ ولكنى همت بالجمال كما ينبغى »

الجمال الحقيقة ، والحقيقة الجمال ، هذا كل ما يجب أن تعرفه فى الدنيا وكل ما تحتاج إلى معرفته

(شرق الأردن) بشير الشريقى

القصص

من أساطير الإغريق

بجماليون المثّال

أسطورة الفنان الذي عشق أحد تماثيله

للأستاذ دريني خشبة

في مدينة أماذيس ، الراقدة كالحلم بين مهاوي الجبال على شاطىء قبرص الجنوبي ، كان يعيش المثال بجماليون عيشة كلها عزوف عن العالم ، وانزواء عن مشاغل الحياة ، وهرب من الناس . كان يأوي الى مَمْثله إذا تنفس الصباح ، ويكب على عمله حتى توارى الشمس بالحجاب ، فيأوي إلى فراشه ، سادر النفس ، معمود القلب ، مكتئباً حزيناً

ولم يكن حزنه من نوع هذه الأحزان التي تتعارفها قلوب أبناء آدم ، بل كان حزناً فريدا في نوعه ، غريباً في أسبابه ، شاذاً في دواعيه ، حتى لنحسب أن أحداً من الناس لم يشق بمثله من قبل . . . . ولا من بعد

كان في بجماليون صدود عن الناس شديد ، لا يراهم جديرين بتودد ، ولا حفيّين بمؤاخاة . ومع أنه كان يضفي من عبقريته على تماثيل الآلهة التي طالما تفنّنت فيها يده الصناع ، فكان يخرجها على نسق الفاتنات الحسان ، وفي سمات الغيد القيان ، فانه لم يصبُ مرة إلى امرأة ، ولم ترتبط أسبابه بفتاة . فكأنه كان يسمو بحبه على النساء ، وإن كن في الحقيقة صاحبات وحيه ، وفيض نبوغه ، واللُّمع الخاطفة التي يتجه شطرها مثله الأعلى

ولم تكن هذه الحياة الصحراوية التي يحياها لترضيه ، ولا تلك المعيشة الآليـة التي أغطشت أيامه لتقنع خياله الخصب ، وقلبه الرحب . لقد كان يقف منقبض الصدر ، مغلول الروح ، أمام هذه الدُّمى الصامتة ، والتماثيل الخرساء ، التي صنعها لأبوللو ، ومينرفا ، وديانا ، وكيوبيد ، وفلكان !

ولقد كانت المناحت والأزاميل ، والمثاقب والمناشير ، والمبارد والمناعم ، وكل عدده تثير في نفسه السخط على الحياة ، والبرم بالأيام ، كلما فكر في حاله فعلم أنه يحيا بلا حب ، ويعيش بلا أمل ، ويعمل بلا غرض ، ويسعى الى غير مطمح !

وبينما هو في يقظته الناعمة هذه ، إذا بحجارين يحملون رخامة كبيرة ، على جرارةٍ ضخمة من هـذه الجرارات الثقال ، التي ترى كثيراً في محاجر اليونان ، يقفون أمام المثل ، ويطرقون باب بجماليون ، فينقدهم ثمن الرخامة ، وينصرفون كل إلى طيّته

وكأنما كانت هذه الرخامة ، على ثقلها الهائل ، وحياً خفيفاً من السماء ، أو آية من آيات الأولمب ، هبطت على هذا المثّال المهموم ، فبدّلت يأسه أملاً ، وقنوطه المظلم رجاء نيّر الآفاق !

فانه لينظر اليها نظرات تشف عن التمثال الرائع الذي سيولده منها ، وإنه لينزع ملابسـه ، ويضفي عليه ملابس العمل ، ثم يتناول إزميله ومنحته ، ويهوي على الرخامة مستلهماً الحول والقوة من : « ڤينوس ! ! »

« يا ڤينوس الجميلة ، يا ربة الحسن والحب ، يا من تسبح لك القلوب العاشقة ، وتلهج باسمك النفوس الوامقة ، يا سر الورد الجميل ، وبسـمة الفن الضاحك ! يا أم كيوبيد الحالم ، وبنت ديون[1] الباسمة ، يا ڤينوس الجميلة ، العون العون يا ڤينوس ! »

وهكذا لبث هنيهة يصلي ، ثم أخذ في عمله ، وكأن فكرة علوية تنزلت على فؤاده ، وامتزجت بشغاف قلبه ، فراح يصورها ويمثلها ، في هذه الرخامة النقية كالنّدف ، البيضاء كالثلج . بل كأنما استجابت ڤينوس ربة الحب لصلاته ، فأودعت في يده نفحاتها المباركة . فما دق دقة ، أو نقر نقرة ، إلا وتمثل ڤينوس الجميلة أمامهُ ، ناذراً لها هذا التمثال ، برغم التماثيل البارعة التي نحتها لها ، والتي تملأ معابد اليونان وأقداسهم

---

(١) في الميثولوجية اليونانية أن زيوس كبير الآلهة كان مزواجاً ، وزير . . . ربات . فمن زوجاته ديون التي أولدها ڤينوس.

وأقبل على عمله بروح جديدة ، وبد لا تكل ، فلم يكن يحول بينه وبينه إلا الليل يرخي سدوله ، وإلا سِنَة من النوم ترقص في جفنيه ، فإذا نام تتابعت الرؤى ، وتلاحقت الأحلام ، كل منها يبدي له ناحية كان يجهلها من جمال ڤينوس !

ولقد بدا له ، كفنان ، أن يروّح عن نفسه بيوم يقضيه في الأدغال ، وبين مسارب المياه ، لكي يجدد نشاطه ، ويبتعث ما خمل من ذهنه ، وخبا من خياله ، لطول ما أكب على العمل ؛ فانطلق ذات صباح إلى سِيف البحر يناجي أپوللو ، وهو يوقظ الشمس من خدرها ، فتعلو به في مركبتها الذهبية فوق الأثباج ! وظل يعلو ويهبط ، ويروح من هنا غادياً الى هناك ، حتى شارف اليوم أن ينتهي ، وعاوده هواه الملح ، فندم على ما قتل من ساعات في هذه الراحة الخاملة ، والفسحة الباطلة ، فعاد أدراجه إلى المثل ، مستغفراً في طريقه الطويل ڤينوس !

ووصل ما انقطع من صنعته ، فكان يستذكر أحلامه ليضفيها على التمثال ، ويستوحي السماء فتلهمه من أديمها الصافي ، وتشيع في يديه وقلبه بطهرها ونقائها ، لتنتقل من ثمة سحراً وفتنة فوق تلك العضلة ، وتحت ذياك الأبط ، وبين انفراج هذين الثديين ، وبالقرب من العكن ، وحول الفخذين ، وعند هـذا الأنف الأغريقي الأشم ، وملء ذاك الذقن الدقيق ، والعنق الرقيق ، ولفتة الحدقتين ، وانفراجة الشفتين ، وتبسيم الثغر ، وتكويم الشعر ، وتمليس الردف ، وتدوير الكعبين . . . . وتباركت يا ڤينوس !

لكأن بجماليون يحس الحياة تسيل من أزميله الحنون ، فوق هذا الجوهر المكنون ! وكان يتقدم فينظر ، ويتأخر فيرى ، ويميل من هنا ، وينثني هناك ، ثم يهطع إلى علٍ ، وينحني إلى أسفل ؛ ليتفقد التمثال من جميع نواحيه ؛ فماذا رأى ؟ لقد استطير من الفرح ، ومادت أعطافه من الخيلاء ! ولكنه سكن قليلاً ، وانطلق يتحدث إلى نفسه : « ويحي ! لم صنعتك أيها التمثال ، ما دمت قد بلغت هذا الجمال ولا تتكلم ؟ أنا بجماليون التعس ، الذي يعيش في هذا العالم القفر ، وعلى هامش تلك الدنيا المجدبة ، لا أنيس لي ، ولا قلب ينبض بحبي ، فينبض قلبي بحبه ؛ ولا نفس تصلي لي ، فأصلي من أجلها ! تكلم أيها الرخام الصامت ، وانفرجا بكلمة واحدة أيتها الشفتان الساحرتان ! أنا بجماليون ! أنا صانعك أيتها الأنثى المتحجرة . . . تكلمي ، ردي عليّ ، فوحق ڤينوس المعبودة لقد أودعتك سر روحي ، ولغز حياتي ! أوه ! ألا تردين على بجماليون المسكين ؟ آه ڤينوس ! النجدة يا ڤينوس ! أنا لا أصلي إلا لك يا ڤينوس . . الغوث الغوث ! . . . »

وظل المسكين مكباً على هذه الدمية التي صورها بقلبه كله ، وروحه جميعها ، يشكو إليها كأنها تسمعه ، ويبثها كأنها تصغي اليه ؛ ثم انتهى حاله إلى هيام شديد ، وحب ودنف ، ولوعة وصبابة ؛ وانقلب عشقه البرح إلى لون كاسف من الوجد ، وضرب شديد من أمر ضروب الحزن ؛ مصدره العقل الحائر والوجدان المضطرب . إذ كيف يعشق هذه الكتلة المجسمة من الرخام ، وهي مما صنعت يداه ؟ وأي أمل له في هذا العشق الشاذ ؟ لا ريب أنه ضرب من الجنون ، ما له من ضريب !

ولج به هواه ، فأحضر عصبة من الحمالين الأقوياء ، نقلوا له تمثاله إلى ردهة الآلهة — كما كان يسميها — وهي صالة واسعة في الطابق الثاني من البناء الذي فيه مثله ؛ وقصد إلى أمهر الصاغة وتجار اللآلىء ، فاشترى ما وسعه من الحلي البالغة والجواهر النفيسة ؛ وعاد فقرّط الأذن ، وقلد الجيد ، وتوّج الرأس ؛ ثم هام في المروج الخضر ، والحدائق الغناء ، يجمع الورود والرياحين ، كيما ينثرها تحت قدمي التمثال !

وتحولت الردهة الى معبد من معابد البوذية المقدسة ، بما عكف يحرقه من مقتنى الند ، وفوّاح الرند ، في مباخر المرمر الجميل المُصَفَّفة حول قاعدة التمثال

وتلف تلفاً شديداً من هذا الغرام العجيب ، فلم يكن يكتفي بالعبادة في الحب والخبوت بين يدي ذلك الصنم المنتصب للفتنة ، بل كان يشركه في كل أمره ، ويعرض عليه جميع شأنه ، حتى القراءة ! فطالما كان ينشده من دواوين الشعراء ماجادت به القرائح وشدت به الألسن ، وتغنت بألحانه قلوب العاشقين !

معذور بجماليون ! لقد تعب وراء الحب ، ولكنه لم يلق هذه الغيداء الفاتنة ، التي تستطيع التسلط على مشاعره ، والهيمنة على فؤاده ، وكان يتخيّل روعة الجمال فلا يجدها مجتمعة إلا في هذا التمثال الذي نحته لهذه الأنثى ، فعبده ، وراح يتمنى على الآلهة الأماني ، أن تنفخ فيه روحها ، وأن تهبه الحياة ونعمة العيش

* * *

وبينما هو نائم في هدأة فجر اليوم التالي ، إذا به يصحو فجأة على لغط شديد ، وهرج عال في الشارع الذي يقع فيه بيته . فينهض الى النافذة ، ويرفع الستر ، ويفتح أحد المصاريع قليلاً ، ثم يحني رأسه ليرى . وإذا موكب زاخر من غوغاء المدينة يحمل

تمثالاً كبيراً من تماثيل ڤينوس التى صنعها بجماليون ؛ واذا الدهماء ينشدون الأناشيد الشعبية ، ويرسلون فى غبشة الصبح أغانيهم (البرجوازية) الجميلة . . وكان من عادة سكان أماذيس أن يحتفلوا بالربة ڤينوس ثلاثة احتفالات يفاجئون بها الناعمين ثلاث مرات كل سنة ؛ فلما عرف بجماليون أن الحفل حفل ڤينوس ، أسرع فارتدى أبهى ملابسه ، وجمع بعض باقات الزهور المبعثرة تحت قدمى تمثاله ، وهرول على الدرَج ، ثم انفتل فى الشارع ، واندمج فى صميم الشعب الذى يلهج بالصلوات والأدعيـة باسم ڤينوس . ثم ما هى إلا هنيهة ، حتى كان بجماليون يهتف كما يهتف الأطفال والسُّذَّج ، ويردد من الصلوات ما يرددون

ولم لا ؟ هل لحظة من الزمان هى خير من هدأة الفجر ترسل فيها الصلوات على أول آراد الصباح ، إلى آلهة السماء ، وأرباب الأولمب ، فتسمع وتلبى ؟

وكان كل همه أن ينتهى هذا الحشد الهائل إلى المعبد ، حيث يستطيع أن يرتل دعاءه ، ويتمّم بصلاته

وقد تنظّر حتى فرغ الـكهنة من جميع الطقوس التى اعتادوا أن يقوموا بها فى مثـل ذلك اليوم ؛ وأخذت الجماهير تنصرف هاشة مستبشرة ، كأنما غمرتهم نفحات خالدة من ڤينوس . ولما لم يبق فى المعبد إلا كهنته ، وأفراد من الأتقياء الصالحين ، يصلون صلاتهم ، ويغمغمون بأدعيتهم ، تقدم بجماليون فى روعة التقى وخشوع الورع ، ووقف خابتاً أمام المذبح ، حيث تصّاعد ألسنة البخور المعطر ، حاملة الأرج الشذى من لهب المَحْرَقة إلى السقف ... والسجف ، فتكسب الهيكل جوه القدسى البديع . ثم ألقى فى اللهب بحفنـة من فتيت الـكافور والمسك ، وطفق يرتل هـذا الدعاء الطويل : « ڤينوس الـكريمة البارة ، يا ربة الحب الطاهر ، والهوى البرىء ، أيتها القـديرة على كل شىء ، المتصرفة فى جدود العاشـقين ، وحظوظ المدنفين : إصغى إلى ، ولا ترفضى دعائى : منذ اهتديت اليك ، وأنا عبدك القانت لك ، الهاتف باسمك فى الغدو ، المصلى لك فى الآصال ؛ لا أنى عن ذكرك ، ولا يفتر لسانى عن التسبيح لك ، والنسك من أجلك ؛ باسمك أقبل على فنى ، ومنك أستلهم وحى العبقرية ، فأنت لى كل شىء

ولقد أيقظتنى صلوات الشعب لك من أحلامى الجميلة بك ، فلم أطغ ولم أستكبر ، بل هرعت اليك ، أتوسل بك ، وألتمس البركات منك ، فحنانيك يا ڤينوس !

حنانيك يا ربة الحب ، وجارة القلوب الـكسيرة ، والنفوس الحائرة !

أنت ، من غير ريب ، تعلمين ما ألم بى من برح هذا الهوى الطارئ ، وما تام قلبى من حب هذه الدمية التى صنعتها باسمك ، ونذرتها لك ، فدلهتنى ، وشـدهت روحى المبلبلة ، وصارت لى أعذب الأمانى وأعز الآمال . وهى بعـد رخامة لا روح فيها ولا نأمة ، أكلمها فما ترد ، وأناجيها فما تجيب ، وأغنى لها فما تبتسم !

أنت قديرة يا ڤينوس ! فانفخى فيها من روحك ، وانشرى الحياة فى أركانها ، وامنحيها النبضات والأنفاس

حنانيك يا ڤينوس ! وسلام لك من قلوب العاشقين ! »

وما كادت صـلاته تنتهى ، حتى انهمر الدمع من عينيه يروى قدمى التمثال المنتصب فى المحراب . فانبعث الشرر عالياً من المحرقة حتى أضاء قبة الهيكل ، والتمع فى جميع أرجائه ، وأقبل الـكهنة والمصلون يباركون بجماليون ويهنئونه . لأن انبعاث الشرر هكذا ، عقب الصلاة ، هو فى اعتقادهم دليل رضى الربة ، وآية تلبيتها واستجابتها ! !

ولـكن مَثّالنا لم يشعر بقلبه يثلج ، ولا بنفسه تهدأ ، بل بالعكس ، أحس كأنما الحياة تتدجى أكثر من قبل ، ويحلولك كل شىء فى عينيه ، وشعر كذلك بقنوط قاتل ينفذ إلى صميمه ، فيطفئ فيه ما رجّى من الآمال البيض ، والأمانى العذاب ! فتعثر إلى الباب غير آبه لما حوله من الآس المنضود فى أنحاء المعبد ، والزهر المبثوث فى صحنه الرحيب . وما برح بين ونى وبطء ، حتى بلغ باب منزله ، فولج متساقطاً على نفسه ، وانبطح على أول سلاليم الدرَج لا يحس ولا يعى !

* * *

وغفا إغفاءة مريضة ، فبدا له أن يحمل إرزبّة هائلة ، يهوى بها على رؤوس الدُّمى ، ويحطم بها التماثيل المنتشرة فى فى ردهة الآلهة . . . إلا تمثال ڤينوس الجديد ، المرصع باللآلئ واليواقيت ! ففزع فزعة مروّعة ، ونهض يعـدو الى الصالة ، يتفـقد التماثيل . . . فما راعه إلا أن يسمع صوتاً رقيقاً يناديه :

« بجماليون ... بجماليون ... إرق الى هنا ... هلم الى !! »

من ؟ صوت مـن هـذا ؟ إنه صوت مرمرى لا عهد لبجماليون به !! »

وقفز قفزات كان بها فى الطابق الثانى ؛ ونظر فلم يجد تمثاله الحبيب فى المكان الذى غادره فيه ... « ... أين ؟ ويحى ! لصوص ! »

ولـكن الصوت الرقيق الرنان عاد يطن . . . ويرن « لا . . ولـكنها ڤينوس ! » والتفت بجماليون فرأى غادة هيفاء فى طبق تمثاله ونسجه ، متكئة على الأريكة التى طالما وضعها أمام التمثال وأنشد الأشعار ؟ !

« من أنت أيتها المعبودة ؟ »

« لست معبودة ، ولـكنني هبة ڤينوس لك ! أنا جالاتيا . . تمثالك المـكنون ! »

« وكيف ؟ أنا لا أصدق . هذه خديعة لاشك ! »

« وكيف تخـدعك السماء يابجماليون ؟ أتريد أن تكفر بآلاء ڤينوس ؟ »

« لا . . لا . . لا أريد أن أكفر . . وحاشاى . . ولـكن كيف حُرْت أنسية ، ومن وهبك الحياة ! »

« هذا سر ڤينوس . وهذه قبلاتك ماتزال مطبوعة على قدمىّ ! »

« ياللسعادة ! »

« انظر الى هاتين الشفتين القرمزيتين ، وهذين الخدين الموردين ، وتينك العينين الزرقاوين . هل استطعت أن تموه تماثيلك بهذه الأصباغ الڤينوسية ؟ »

« وانظر الى الأنفاس الحارة التى تتردد فى صدرى ، هل وسعك مرة أن تبعثها فى إحدى دُماك ؟ »

« حاشا . حاشا »

« إذن فهلم الى أحدثك حديثى »

(فدنا منها بجماليون المشدوه)

ـ « بجماليون ! لقد استجابت ڤينوس دعاءك ، وقبلت صلاتك ، وحضرت الى هنا إذ كنت أنت فى الهيـكل تبـكى وتنتحب ، فمنحتنى الحياة ، وعلمتني من العلم مالم أكن أعلم »

ـ « ولـكن كيف يحق ڤينوس عليك ياجالاتيا »

ـ « كنت منتصبة كما وضعتنى على تلك القاعدة الناصعة ، فأحسست حدقتى تتحركان ، وإذا بى أرى ڤينوس الجميـلة أمامى ، تأمرنى أن أدلف نحوها ، ففعلت ، وكنت أحس كأن ثلجاً ينفذ من كيانى ، وأن حرارة تشيع فى أركانى ، وكانت ڤينوس تقول لى . . . « تعالى . . . تعـالى ، وكونى ربّة هذا البيت . احميه واحرسـيه ، وانشرى السعادة فيه ! ! هلمى الىّ ألقـنك دروس المحبة والحيـاة . . . » ثم إنها نفثت فى أذنىّ نفثات تعلمت بهـا هذه الـكلمات : وأسبغت علىّ هـذا الثوب الحريرى الذى لابد قد رأيته على تمثالها فى الهيـكل . . : ليشهد لك أنها هى التى منحتنى الحياة . . . ومنحتك الحب ! »

ـ « وماذا ؟ وماذا ياحبيبتى جالاتيا ؟ »

ـ « ثم تقدمت إلى فنوّلتنى قبلة مشتهاة لن أنسي ما حييت أسْرها . ودعت لى ولك بالوفاق الأبدى ، والاخلاص السرمدى ، لنكون آية السماء فى هذه الأرجاء ! وابتسمت ابتسامة أرق من إطباقة أوراق الورد ، ولم أعد أراها . . . »

وأتمت جالاتيا حديثها ، فاستقر بجماليون فى أحضانها !

دريني خشبة

على ذكر الربيع

شجرة المشمش

بقلم الأديب حسين شوقي

عند ما فتحتُ صباح اليوم نافذتي التي تطلُّ على الحديقة ، تولاَّني العجب حينما شاهدتُ شجرة المشمش في ثوب زاهٍ قشيب ، وكانت بالأمس عارية يابسة . . . . حقاً ! ما أبهى شجرة المشمش في ثوبها الأبيض المزدهر ، كأنها فتاة تتأهب لحفلة زفافها ! من ذا الذي أتى بهذه المعجزة ؟ من ؟ هو أنت أيها الربيع ، يا ألطف السحرة وأمهرهم ؟

ولكن ظهور الربيع فجأة أعاد إلى قلبي ذكريات عزيزة ، وإن تكن حزينة مؤلمة . .

إن قدوم هذا الربيع ذكرني بربيع آخر قضيته في باريس ، حينما كنت طالباً بها . .

أذكر أنني ذهبت يوماً إلى حديقة « اللكسمبور[1] » الغناء للمذاكرة في الهدوء والسكينة ، قبل الامتحان بأسابيع ، وبيدي كتاب « القانون المدني » للأستاذ « پلانيول » ، ولكن لم تكن عندي رغبة في المذاكرة هـذا اليوم ، لأن الطقس كان بديعاً ؛ فالشمس أخذت تلمع في الأفق بعد احتجابها عنا طويلاً ، والجو أخذ يعبق برائحة الربيع الزكية .. لشدّ ما كان جميلاً منظر جند الربيع ، وهي تتسلّق الأشجار في أثوابها الخضراء ، وقد أخذت الطير تهتف وتصفق من فوق أغصانها لذلك الجيش الحليف الصديق ، الذي أراحها من الشتاء البغيض . . .

كنتُ أفتح كتابي لأقرأ فيه صفحة ثم أعود فأهمله لأتفرغ للنظر الى التغيرات العجيبة التي تحدث في الطبيعـة حولي . . . وكنتُ أغمض عينيَّ ، ثم أستنشق — ملء الرئتين — عبق الربيع في نشوة عظيمة . . حقاً ! لقد كانت بغيضة إلى نفسي تلك المذاكرة في هـذا اليوم ! مالي و « لپلانيول » ؟ مالي وللعقود وتسجيلها ؟ مالي وللحجز والاسترداد ؟ والطبيعة تنجلي أمامي ؟

وبينا أنا على هذه الحال ، أفتح الكتاب لحظة لأهمله لحظات ، إذ رن من الخلف ضحك فتاة لم أنتبه إلى وجودها من قبل ، وإذ هي تقبل فأسمعها تقول : إنك على حق ! إنه لعذاب للنفس المذاكرة في مثل هذا الطقس البديع ! أنا أيضاً لم أطق المذاكرة . . ثم أشارت إلى كتاب ألقته على الأرض . . وفي دقائق معدودة أصبحنا صديقين حميمين ، وكأننا تعارفنا من زمان طويل ، وكأن حديثنا هذا تتمة حديث قديم . . حقاً ! ما أمهرك أيها الحب في إحداث أمثال هذه المعجزات !

تركنا مقاعدنا وأخذنا نطوف جوانب الحديقـة لنعرف ما إذا كانت جنود الربيع قد احتلت أنحاءها الأخرى

ثم دعوتها إلى تناول العشاء معي ، فقبلت الدعوة دون تردد . . والعجيب أني وجدت من الطبيعي أن أدعوها إلى تناول العشاء ، كما كان عجيباً أن تجد هي أيضاً من الطبيعي أن تتقبل هذه الدعوة . . . ما أعجب تصرفاتك أيها الحب ! وفي أثناء العشاء التهمت صـديقتي بالنظرات ، معجباً كل الاعجاب بعيونها الكستنائية الصافية التي قامت على حراستها أهداب براقة فتية ، وأعجبت بقوامها الرشيق ، وثوبها البسيط الأنيق . . ثم صرنا نتلاقى في كل يوم .. ولم يشأ أن يسأل أحدنا الآخر عن ماضيه .. ما شأن الماضي بنا ؟ ما شأن الأشياء التي ماتت وانقرضت ؟ لم نعذب أنفسنا بأوهام وأشـباح ؟ كذلك لم نشأ أن نفكر في المستقبل ، لأن المستقبل لن يكون خالياً من الخطر والغموض .. أليس الفراق يراقبنا عن كثب ؟ ألست طالباً أجنبياً تنتهي دراسته بعد أسابيع ثم يعود إلى وطنه ؟ ما لنا وللمستقبل إذا كنا ننعم بالسعادة والحب في الحاضر ؟

قضينا أياماً لذيذة سعيدة مرّت كعادتها سراعاً . . . أي صـديقتي العزيزة ! إني لن أنسى وفاءك ما حييت ! كم كنت تحثينني على المذاكرة عنـد اقتراب الامتحان ، وبجانبي معناه الأفتراق ، معناه عودتي الى الوطن . . ولو رسبت لطالت إقامتي معك . . ولكنك آثرت نفسي على نفسك ، وقدمت مصلحتي على مصلحتك !

---

(١) مقر مجلس الشيوخ الفرنسي ، وحديقته متنزه عمومي للباريسيين

أي صديقتي المحبوبة ! إن قلبي يتفطر حزناً كلما تذكرت يوم نجاحي ، وقد جئت الى الكلية أعرف النتيجة ، فلما عرفت نجاحي طوقتني بذراعيك وقبلتني أمام الجميع بلا مبالاة من شدة الفرح ، بينما لمحت دمعة تنحدر من عينك المحبوبة للفراق المرتقب ! ..

أي صديقتي العزيزة ! إني ما زلت أراك وأنت ترافقينني في مسيري لقضاء بعض حاجاتي قبل الرحيل ، وقد تظاهرت بالغبطة والسرور كي لا تدخلي على الغم في الأيام القليلة التي سأقضيها معك في باريس ! كنت فرحة وأنت تنتقين لي الهدايا التي سوف أقدمها لدى عودتي الى أفراد أسرتي في مصر ! أي صديقتي العزيزة ! إني ما زلت أراك تكفكفين دموعك خلسة حينما حجزنا تذكرة عودتي لدى إحدى شركات الملاحة ! إني مازلت أذكر عشاءنا منفردين في الفندق عشية الرحيل ... لقد بدا عليك الحزن في أجلى مظاهره ، لأنه لم يعد بعد في طاقة قلبك الرقيق الصغير أن يتحمل تلك « الكوميديا » . . « كوميديا الفرح » والسرور التي كان يحياها في أيامنا الأخيرة ..

أي صديقتي المحبوبة ! كم كان مؤلماً يوم الفراق ! لقد رجوتك ألا تذهبي الى المحطة لأن الوداع في المحطات مؤثر من نفسه ، ولكنك أصررت على الحضور زاعمة أنه في طاقتك أن تتجملي . . ثم حضرت . . وكنت فعلاً شجاعة في أول الأمر فقد أخذت تضحكين ، كما جعلت توصينني بأن أبعث اليك رسالة من كل مكان أحله في طريقي . . . ولكن عندما علا صفير القطار المزعج المؤذن بالرحيل ، ضاعت شجاعتك فأخذت تبكين بكاء مراً ، ولم يكن في طاقتي أن أخفف عنك لأني كنت في مثل حالك من التأثر . . .

ما أطيب قلب تلك السيدة العجوز التي جلست أمامي في العربة ، وقد أخذت تبكي لبكائنا وهي تتمتم : يا لله ! ما أقسى الحياة !

أي صديقتي المحبوبة ! إذا كان حبنا لم يعش طويلاً فان عزاءنا فيه أنه انقضى في أوج شبابه وريعانه !

وأنت يا شجرة المشمش ! ذكريني في مثل هذا اليوم من كل عام بهذه الذكريات العزيزة ، لأن القلب البشري ضعيف قد ينسى أحباءه يوما ما !

كرمة ابن هانئ — حسين شوقي



البريد الأدبي

هل لامرتين من اصل عربى ؟

سيدى الأستاذ . . . . الزيات

كنت قد قرأت فى العدد التاسع والسبعين من (الرسالة) الغراء كلمة عن اتصال نسب شاعر الحب والجمال (لامرتين) بالعرب ، وحثكم الباحثين على التنقيب عن هذه الصلة ، لعلهم يوفقون إلى إضافة هذه العبقرية الخالدة إلى عبقريات العرب . وإذ كنت أقرأ فى (حياة لامرتين الغرامية Le vie amoureuse de Lamartine) للكاتب المعروف (لوكادوبريتين Lucas-Dubreton) صفحة ١٢٨ ، عثرت على نبذة لها علاقة متينة بذلك الأصل الذى يعترف به (لامرتين) نفسه بصراحة وثقة . وهأنذا أرسلها إلى (الرسالة) لعل فيها شعاعاً يضىء طريق البحث عن ذلك النسب . قال لوكا :

(لما نفض لامرتين يده من السياسة تسنى له سنة ١٨٣٢ أن يحقق أمنية طالما فكر فيها : وهى السفر إلى الشرق ، لا حاملاً حقيبته وعصاه كما قد سبق له أن تخيل ، بل على سفينة شراعية جميلة . . . هنالك نساء الشرق أرينه فى عيونهن كما يقول : « أشعة من المخمل الرطب لم يكن قد رآها فى عينى امرأة . » ففعلت بلبه تلك العيون ما تفعل الخمر . لذلك كان فى قصصه التى عاد بها من سفره تلك اللهجة الحادة ، وذلك الخيال الذى نجده فى قصائد (أريوست Arioste) : من هذا النوع قصيدته التى بارى بها شاعراً من الصحراء فى الاشادة بمحاسن الآنسة الرائعة الجمال (مالاجمبا Malagamba) . وأصدق هذه القصص على مايظهر قصة زيارته (لادى استير استنهوب Lady Esther Stanhope تلك الانجليزية المحاطة بالأسرار التى كانت تعيش كسلطانة فى قصرها القائم على أحد منحدرات لبنان ، وقد تنبأت له بمكانة رفيعة وحظ عظيم ؛ فسر بنبوءتها وارتاح الى تصديقها . وأهم ما لفت نظر السلطانة فى الشاعر تفاخره الساذج . وإليك حديثها عنه الى زائر آخر هو الأمير (دى بوبكلير موسكو Pückler-Muskau) قالت :

« بينما كان لامرتين يمد قدمه ليلفت نظرى الى جمال تقوسها ، بينت له أن ذلك الشكل ينم عن أصل عربى ، يدل عليه أيضاً بريق عينيه ورسم حاجبيه :

Comme Lamartine allongeait obstinémeut un pied avec l' intention manifeste d' en faire admirer la cambrure, je lui fis croire que cette conformation révélait une origine arabe, indiquée en outre par l' éclat de ses yeux et le dessin de ses paupiéres

فاعجب بفراستى واستنتاجى ؛ ثم روى لى كيف أن مائة وخمسين عربياً أسروا فى غزة أيام الحروب الصليبية ، فقيدوا إلى فرنسا واستوطنوا (ماكونيه) حيث أسسوا قريتين ، وشادوا القصر الذى يسكنه لامرتين نفسه :

et il expliqua qu 'au temps des croisades cent cinquante arabes prisonniers de Gaza avaient été emmenés en France et s' étaient établis dans le Mâconnais au' ils avaient construit deux villages et le château que lui - méme habitait.

ثم تابع قائلاً : — كان عليك أيضاً أن تلاحظى فىَّ خاصة وراثية شوهدت فى الاسكندر ، وهى ميل الرأس قليلا نحو الكتف . أليس هذا هو طابع البلاد الجنوبية ؟ . . . فأجبته بالتأكيد :

« Vous devez avoir aussi remarqué chez moi une particularité congénitale qu' on a observé chez Alexandre et qui consiste à pencher légérement la tétc vers une épaule. Ceci n'est - il pas un cachet des pays du Sud ? ...

Je répondis affirmativement. »

وكأن هذا الانتساب لم يرق للكاتب الفرنسى (لوكا) فقال فيه :

« إن هذا الحديث ينم عن حقد (لادى استير) على الشاعر الذى أدرك ببصيرته الثاقبة (ماوراء تلك المظاهر الخلابة التى كانت لادى تحيط نفسها بها ، من دسائس سياسية) . »

وليس فى فراسة (لادى) ما ينم عن حقد أو تشف ؛ وإنما هو استنتاج استنتجته من ملامح الشاعر وتكوين بعض

أعضائه ، وكانت فيه جد موفقة ، لأنه صادف ارتياحاً من لامرتين ، فقص عليها من نبأ الأسرى ما يؤيد فراستها ويدعم هذا الانتساب الذى يفتخر به ، وبرهن لها أن القرية التى يسكنها والقصر القديم الذى توارثته أسرة لامرتين هما من بناء أولئك الأسرى العرب

ويروى أن لامرتين حاول مرة أن يبيع هذا القصر الأثرى ليوفى ديونه ، فأبت عليه ذلك ابنة أخته (ڤالنتين : Valentine) ، وآثرت بيع معظم أملاكها حتى لا يفرط فى هذا التراث الثمين ، تراث أجداده العرب

بيروت (دار المعلمين) حسن باشو

ذكرى هاندل عميد الموسيقى الألمانية

احتفلت دوائر الفن والثقافة فى ألمانيا بمرور مائتين وخمسين عاماً على مولد الموسيقى الألمانى الكبير جورج فريدريش هاندل ، عميد الموسيقى والأوبرا الكلاسيكية . وأقيم احتفال رسمى فى « هاله » مسقط رأس الموسيقى ، شهده مندوبون رسميون من انكلترا التى عاش فيها هاندل أربعين عاماً وأخرج معظم قطعه وأوبراته الخالدة . وقد ولد هاندل سنة ١٦٣٥ ، ودرس القانون أولاً ، ولكن مواهبه اتجهت إلى الموسيقى فبرع فى العزف على القيثارة والأرغن والهارب ؛ وتلقى دراسته الموسيقية على العازف الشهير زوخاو ؛ وعين عازفاً لكنيسة هاله . ولما ذاعت شهرته سافر إلى همبورج حيث تولى العزف فى أشهر فرقها الموسيقية ، وأخرج فى ذلك الحين أولى أوبراته « الميرا » و « نيرون » ؛ ثم سافر إلى إيطاليا وطاف بمدنها الكبيرة ونالت «أوبراته» هنالك نجاحاً عظيماً . وفى سنة ١٧١٠ سافر إلى انكلترا وأخرج « رينالدو » ، وذاعت شهرته هنالك ؛ وبقى فى انكلترا زهاء أربعين عاماً حتى وفاته ؛ وتعرف يومئذ بأقطاب العصر مثل بوب وفيدلنج وهوجارث ؛ ولقى رعاية كبيرة من الملكة « آن » ملكة انكلترا ؛ ورتبت له معاشاً حسناً . وفى تلك الفترة وضع هاندل سلسلة جديدة من الأوبرات الرائعة مثل « آسى وجلاتيا » و « استر » وهى بالانكليزية و « اتونى » و « تيمو رلنك » و « سبيون » وغيرها ؛ وأنشأ هاندل يومئذ فرقة أوبرا كبيرة ؛ ولكنها فشلت من الوجهة المالية ؛ فعاد إلى التأليف ووضع « آريان » و « أتاليا » و « السينا » وغيرها . وأصيب على أثر فشله فى مشروعه بضربة من الشلل ؛ فسافر إلى إكس لاشابيل يستشفى مدى حين ؛ ثم عاد إلى انكلترا ، وترك التصنيف للأوبرا وأخذ يصنف القطع الكنسية فوضع منها خمس عشرة ؛ وأسبغ بجهوده على الموسيقى الكنسية بهاء وروعة لم تعرفهما من قبل ، وأشهر هذه القطع الدينية : « صالح » و « اسرائيل فى مصر » وهما من أبدع قطعه . وفى سنة ١٧٤٢ أخرج أعظم قطعه وهى : « المسيح » ومثلت لأول مرة فى دبلن ، ويجمع النقدة على أنها أعظم قطعة دينية موسيقية ، ثم أخرج بعد ذلك « شمشون » و « يهوذا » و « تيودورا » . وتأثر هاندل أعظم تأثر بالمدرسة الانكليزية وتقاليدها . وبرز فى فنه على جميع معاصريه ما عدا « باخ » وتطبع مؤلفاته كلها روعة وفصاحة بالغة ؛ وموسيقاه عميقة مؤثرة خصبة فى الالهام . وقد أصيب الموسيقى الكبير قبل وفاته بأعوام بفقد بصره ؛ فكان ذلك نذيراً بتحطيم حياته ؛ وتوفى بانكلترا سنة ١٧٥٩

وقد ألقى ممثل الحكومة الألمانية الدكتور روزنبرج فى احتفال «هاله» الرسمى بهذه المناسبة خطاباً جامعاً عن هاندل وآثاره ؛ ونوه فى خطابه بوحدة الثقافتين الجرمانية والأنجلوسكسونية ، وقال إن ألمانيا كانت تعتبر شكسبير دائماً واحداً من أبنائها ، بينما تعتبر عظماء المؤلفين الايطاليين والفرنسيين أجانب عنها وعن ثقافتها وإن كانت تقدرهم وتعجب بهم ، وكذلك هاندل فانه طبع الموسيقى الانكليزية بأثره وطابعه مدى قرنين ، ثم قال إن «المسيح» وهى أعظم قطع هاندل لا علاقة لها بالمسيح اليهودى ؛ وقد نعت المعاصرون هاندل بأنه وثنى كبير ، ولكن روعة هذه القطعة ونبراتها القوية إنما هى فى الواقع نفحة انتصار تفهمها الروح الأوربية دائماً سواء فى انكلترا أو ألمانيا

أثر لشوبين

وضعت بلدية درسدن لوحة تذكارية على منزل فى المدينة كان الموسيقى البولونى الأشهر شوبين يقيم فيه منذ قرن ، وأقيمت بتلك المناسبة حفلة رسمية حضرتها السلطات السكسونية وسفير بولونيا فى برلين . وألقيت بهذه المناسبة خطب من مندوب الحكومة الألمانية الدكتور فونك ، والسفير البولونى حول حياة شوبين وذكرياته وأثره فى تطور الموسيقى

من هنا ومن هناك

خواطر عن الدستور الانكليزي

ملخص محاضرة للسير جون سيمون

قرأنا فى « الطان » نص المحاضرة الممتعة التى ألقاها السير جون سيمون وزير الخارجية البريطانية ، فى باريس ، وافتتحت بها سلسلة المحاضرات السياسية الكبرى التى نظمتها « الطان » وشهدها رئيس الوزارة الفرنسية وأعضاؤها وأكابر رجال الحكم والسياسة والأدب والفن والمال

وكان موضوع محاضرة السير سيمون طريفاً شائقاً وهو : « بعض خواطر عن النظام الدستورى فى بريطانيا العظمى »

وقدم السير سيمون إلى الحضور رئيس الوزارة الفرنسية مسيو فلاندان ، فى كلمة بليغة نوه فيها بالمركز الرفيع الذى يتبوأه المحاضر فى عالم السياسة والقانون ؛ فهو اليوم عميد السياسة البريطانية ، يتناول أقدارها ومصايرها بين يديه ، وهو مشترع كبير ومحام بارع يترك وراءه ماضياً حافلاً بأعظم الذكريات

وألقى السير سيمون محاضرته بفرنسية بديعة ؛ ولم يلجأ إلى الشروح الفنية أو الفقهية فى بسط آرائه ، ولكنه عرضها بطريقة واضحة سهلة ، محكمة فى نفس الوقت ؛ واستهلها ببيان حقيقة يجهلها الكثيرون ، وهي أنه لا يوجد فى الواقع دستور انكليزى ، أو بالحرى لا يوجد دستور انكليزى مكتوب ومبوب فى نصوص ومواد يرجع إليها فى تطبيقه ؛ ولكن الدستور الانكليزى عبارة عن مجموعة من القواعد والتقاليد القومية ، تكونت مدى القرون وأصبحت مراجع محترمة تتبع بأمانة واخلاص . ولهذه الخاصة الغريبة مزية قيمة هي المرونة التى تمكن ولاة الأمر من التمشى مع ظروف العصر ومقتضياته بتعديل بعض القواعد والتقاليد بطريقة عملية ؛ وضرب السير سيمون مثلاً عملياً لتطبيق هذه الخاصة ، هو أنك لا تجد مطلقاً فى القوانين البريطانية ذكراً للوزارة أو مسئولياتها أو رئيس الوزارة واختصاصه ؛ فالوزارة التى تمسك بيدها مصاير الحرب والسلام هى نتيجة تطور دستورى لا يعرف أصله ، ومع ذلك فهى تقوم على أصول دستورية معروفة ؛ فهى مسئولة أمام البرلمان ، ويجب أن يكون أعضاؤها جميعاً من أعضاء البرلمان ؛ وأما رئيس الوزارة فليس له ذكر أو مرجع فى القوانين الانكليزية ؛ وإقامته لا تستند إلى غير العادة والتقاليد ، والمعروف أن والبول هو أول وزير انكليزى أطلق عليه هذا اللقب واعتبر رئيساً للحكومة ؛ أما قبل ذلك فكان الملك يصطفى من بين وزرائه وزيراً أو أكثر يعهد اليهم بمهام الأمور

وللوزارة البريطانية خاصة أخرى هى أن يفرق دائماً بين ديوان الوزارة « كابِنِت » وبين مجلس الوزارة . فأما ديوان الوزارة فلا يشمل كل الوزراء ، ويعقد فقط من الوزراء الذين يمثلون الوزارات الهامة وفى مقدمتهم الرئيس ؛ وهؤلاء هم الوزراء الذين يحملون لقب « سكرتير الدولة » وعددهم سبعة ، ومستشار المالية ، واللورد تشانسلور ، ورئيس البحرية ، ورئيس مجلس التجارة وغيرهم ؛ وهؤلاء يحضرون دائماً جلسات « الديوان » أما غيرهم من الوزراء الثانويين مثل وزير البريد ، فلا يحضرون هذه الجلسات إلا فى أحوال معينة

وقد كان العرش فيما مضى يشرف على اجتماعات الوزارة ، ويرأس الملك جلساتها عادة ؛ وكانت الملكة « آن » هى آخر من رأس مجلس الوزراء ؛ ولكن حدث فى عهد جورج الأول (أوائل القرن الثامن عشر) أن غيرت هذه العادة ، فعدل الملك عن رئاسة المجلس لا لسبب سوى أنه كان ألمانياً لا يعرف الانكليزية ولكنها غدت من ذلك الحين سنة فى الدستور الانكليزى ، فملك انكلترا لا يرأس مجلس الوزراء منذ قرنين

ولم يكن لمجلس الوزراء سكرتارية ، ولا يوضع لجلساته محاضر

أعمال حتى الحرب الكبرى ، فاستحدث مستر لويد جورج هذه القاعدة ، وعين سكرتيراً للمجلس بداعى الحاجة وما تقتضيه الأمور من سرعة الفصل ؛ فغدت سنة دستورية ؛ وأضحى هذا السكرتير من أهم أعضاء « الديوان » وعليه مسئولية كبيرة ، فهو الذى يضع جدول الأعمال بمصادقة الرئيس ويوزعه على الأعضاء مشفوعاً بجميع الوثائق اللازمة ، وفى وسع الوزراء البريطانيين متى تركوا خدمة الحكومة أن يكتبوا مذكراتهم كما شاءوا ، ولكن قاعدة حكيمة مرعية تحملهم دائماً على احترام أسرار الدولة الخطيرة ، فلا يبوحون بها مطلقاً

وهناك خاصة أخرى للوزارات البريطانية هى استقرارها وطول بقائها فى الحكم ؛ وهذه الخاصة ترجع إلى عوامل ثلاثة : الأول أن الأحزاب السياسية فى انكلترا قليلة العدد ، وليست موزعة القوى والفرق كما هو الشأن فى بلاد أخرى . والثانى هو أن صدور تصويت ضد الوزارة لاينتهى باسقاطها حتما ؛ والوزارة الانكليزية لا تطرح مسألة الثقة ؛ ولا تسقط الوزارة إلا إذا هزمت فى مسألة خطيرة أو وجه اليها قرار لوم على أثر المناقشة فى مسألة هامة . والثالث هو أن أعضاء الأغلبية يترددون غالباً فى التصويت ضد الحكومة ، لأنه يحتمل جداً أن رئيس الوزارة إذا هزمت الوزارة ، يشير على الملك بحل البرلمان ، وهو اعتبار له قيمته فى اتزان النواب . والمفهوم دائماً أن الرئيس إذا أشار بحل المجلس ، فانما يرجع ذلك الى أسباب جوهرية تقتضيه ؛ ولم يحدث أن رئيساً أشار مرة بالحل ورفض طلبه

ولمجلس النواب البريطانى رئيس له تقاليد خاصة واحترام عميق فى نفوس الأعضاء ، وهو الذى يطلق عليه «مستر سبيكر» وهو يحمل مسئولية النظام فى المجلس ، ويؤديها بمقدرة عجيبة ؛ وليس له جرس يقرعه ، ولكنه اذا احتدم الجدل الى حد كبير ، يقوم من مجلسه فقط ، فيضطر الأعضاء احتراماً لعادة قديمة أن يجلسوا جميعاً وبذلك تسود السكينة . ولم يحدث منذ ثلاثين عاماً أن أخرج عضو من المجلس أو اتخذت أى إجراءات غير عادية لتأييد النظام .

الموسوعة الايطالية

كان من مظاهر الأحياء الفاشستى فى إيطاليا ، أن عنيت إيطاليا الجديدة بالناحية الثقافية والعمل على ترقية العلوم والآداب ؛ ومنذ سنة ١٩٢٥ تعنى جهات الثقافة الرسمية باصدار موسوعة إيطالية كبرى (دائرة المعارف) لا تقل فى حجمها وموادها عن الموسوعة الانكليزية أو الأمريكية أو الروسية ؛ ولم تكن إيطاليا قد عملت بعد لأخراج موسوعة من هذا النوع ، وكان أول من فكر فى تنفيذ المشروع السناتور تريكانى وهو من أقطاب الصناعة والمال ، ورأى أن يستعين على تنفيذه بأقطاب العلم والأدب والفن فى إيطاليا وفى خارجها ؛ ولما رأت الحكومة خطر المشروع وأهميته تناولته بيدها ، وأصدرت به قراراً رسمياً فى يناير سنة ١٩٣٣ ؛ وتحولت الهيئة التى كانت قائمة به إلى هيئة رسمية ، واشتركت معظم البنوك الايطالية الكبرى فى إنشاء الاعتماد اللازم ؛ وتولى الاشراف على الناحية العلمية السنيور جنتيلى وزير المعارف السابق وهو علامة وفيلسوف كبير ؛ فجمع حوله أقطاب العلم والأدب والفن ؛ وقسمت أبواب الموسوعة إلى خمسين باباً وزعت على مختلف العلماء والاخصائيين ؛ وروعى فيها أن تكون تامة التماسك والتناسق ؛ فالمواد تفحص حين ورودها ويستبعد منها ما كان جدلياً أو مذهبياً أو متناقضاً مع غيره ، وتصحح التجارب مراراً عديدة ، وقد بدأ ظهور هذه الموسوعة منذ سنة ١٩٢٩ فى ثوب أنيق رائع هو أبدع ما أخرجته المطابع الايطالية وربما كان أبدع ما أخرجت مطابع العالم ؛ ومن ذلك الحين يصدر مجلد واحد كل ثلاثة أشهر بانتظام تام ؛ وسوف تظهر الأجزاء الأخيرة فى سنة ١٩٣٧ ، وتكون الموسوعة فى ستة وثلاثين مجلداً . وقد ظهر إلى اليوم المجلد الرابع والعشرون ووصلت المواد الى حرف P ؛ ويحتوى كل مجلد على نحو مائتى صورة ؛ وهى تطبع فى مطبعة أنشئت خصيصاً لها فى ميلانو عاصمة الطباعة الايطالية ، وقد اشترك فى موادها جميع العلماء على اختلاف نحلهم ومذاهبهم العلمية والسياسية ، وبلغ عدد الذين يشتركون فى كتابتها ٢٥٠٠ عالم منهم نحو العشرة فقط من الأجانب ، وكتب السنيور موسولينى مادة « الفاشزم » ، وكتب كثير من أقطاب الحركة الفاشستية عن مناحى الحركة وتطوراتها ؛ وسوف تكون هذه الموسوعة بلا ريب من أحدث المجموعات العلمية والأدبية والفنية التى ظهرت حتى اليوم

الكتب

ترجمة نفسية تحليلية

٢ ــ هو ذا تاريخ انسان ... !

للأستاذ خليل هنداوى

جبران « دمعة وابتسامة » كان رؤوفاً بالناس محباً للناس، راحماً ضعفهم، مشفقاً على بؤسهم، وهو — وإن يكن فى نزعاته هذه مقلداً — فقد عبّر عن عاطفـــة صحيحة صادقة لم تدنسها الأرض. فهو مؤمن بالعدل السماوى والرحمة المتغلغلة فى كل جزء من أجزاء الكون، ولكن جبران الانسان أفسد على جبران الهادئ هدوءه، وقلقه الحسى عمـل على بعث قلقه الروحى.... فالفقر والهجرة وموت الأعزاء والخيبة، كلها عوامل تألبت على جبران فخنقت فيه جبران الهادئ، ووترت أعصاب جبران القاسى، ومن يطفئ مثل هـذه الثورة إلا خمرة « نيتشه » يتناولها بيد « زرادشت » ؟ (١)

خلقت خمرة « نيتشه » عواصف جبران، وقد أثبت الناقد تأثير نيتشه فى « العواصف » وهو تأثير لمن يرى؛ وعندى أن هذا التـأثير مهما أحاطت به عوامل هذا الفيلسوف فهو لا يخلو من تأثير روح جبران الباطنية التى تمثلت أن الناس كانوا سبب خيبتها، فكرهتهم، لأن فى كراهيتها انتقاماً لها منهم

قد كان — فى طوايا جبران — زارادشت راقدا، فأيقظه زرادشت نيتشه... وألهبه بروحه، وهتف به ليكون هداماً مثله، دافناً للأموات الأحياء!

لا يرضى النعيمى عن كل هـذا التمرد، ولا بعضه، لأنه لا يعرف للتمرد غاية... وإنما أظهر رضاه عنه فى «غرباله» لأنه كان نفثة صادقة من فتى التفت الى لباب الحياة، أو طفل صاح صيحة الحياة، برغم القابلة الواقفة على كل طفل يولد لتحول بينه وبين صيحته بالخنق أو بالسحق: هتف جبران برغم ذلك هتاف المرارة والحرقة، فوجد الناقد فى هتافه تحرقاً للمجهول، فرضى عن هذا التحرق وإن لم يرض عن هذا التمرد... فنظر ــ كما قال جبران(١) ــ الى مستقبله لا الى ماضيه، وأدرك الناقد أن هذه الثورة النفسية هى ثورة لم يخل منها فنان أو شاعر، وأى حجر ينزل فى القاع بدون دوائر وأمواج. وهـذه الثورة هى علامة الحياة....

صدق النعيمى فى نبوءته؛ فان جبران لم يطل تمرده، ولو طال تمرده لما كان شريفاً كالذى قلده فى تمرده؛ فان تمرد نيتشه ناشئ عن المثل الأعلى الذى وجده واتبعه، لا يثنيه ثان عنه إلا ردء، ولا يحول بينه وبين مثله حائل إلا صده. أما تمرد جبران فهو تمرد تقليدى ــ كمن يمد لمصافحه يداً شائكة إذا أنكره أو

(١) اشارة الى كتاب « هكذا تكلم زرادشت » الجامع لفلسفة نيتشة « السوبرمانية »

(١) من رسالة لجبران الى نعيمة

يداً ملساء إذا عرفه . تمرد نيتشه لا يقبل رحمة من يشتمهم ، ولا يرضى بهبة من يدعوهم أمواتاً لأنه هو الحي العظيم ! أما جبران فهو يعمل لهم ويقبل صداقتهم ويبني فنه على عطفهم ومعونتهم . ولو أن نيتشه حل محل جبران وعرضت عليه – ماري هاسكل – هـذه الخمسة والسبعين دولاراً هبة ، فماذا كان فاعلاً ؟ لكن جبران علل نفسه بأنه يذعن اليوم مستسلماً وغداً يتمرد ثائراً . . وجاءت ساعة التمرد فأعلن العصيان ، ثم فاء إلى منطقة السكينة الصامتة ، والحياة كلها متوزعة في منطقة الصمت

ما هي العوامل التي دفعت جبران إلى السكينة بعـد تلك العاصفة الهوجاء ؟

ذلك ما حاول النعيمي أن يسدل عليه ستاراً ، فيأتي بالعوامل الخارجية التي لا يسكن إليها العقل . فجبران المتمرد قد يكون سبب سكونه أنه لم يكن داعياً بتمرده إلى مثل أعلى تؤمن به روحه كما يذيعه يراعه . ولـكن « زرادشت » الثائر في قلب جبران هو ذات «زرادشت» الذي هدأ ، والذي أسماه «المصطفى» وفيه لا يزال نيتشه عرقاً حياً ينبض في قلب جبران !

يرى « النعيمي » في المصطفى جبران الأسمى الذي بلغ بخياله ما لم يبلغه بإرادته . . . . جبران الذي هوى في القاع وهـدأ في مكانه . جبران الساكن الذي دفن جبران المتمرد ! جبران الذي رضي عن الحياة بكل ما انطوت عليه الحياة ؛ وقبل الحياة المتصلة اتصال كل ذرة بذرة وكل قطرة بقطرة ؛ الحيـاة التي لا ينفصل ألمها عن فرحها وجميلها عن قبيحها ! هذه هي القمة التي بلغها جبران وأراد النعيمي من جبران أن يبلغها !

يقف النعيمي عند هذه النقطة ولا يتقدم ، ويبقى القارئ مشوشاً لأنه لا يستطيع أن يصل بين حلقة التمرد وحلقة السكون ؛ وقد تركهما الناقد مقطوعتين . عرف مولد التمرد ولم يعرف مولد السكينة ، ولـكن المحلل اليقظ يسهل عليه أن يدرك أن في « جبران المصطفى » أثراً من روح « نعيمة الهادئ »

أما جبران الثائر فقد علمنا أنه وليد نيتشه ، أما جبران الهادئ فأي « نيتشه آخر » ذهب بروحه إلى هـــذا الأفق ، وهداه إلى هـذه الغاية ؟ إن الناقد الحقيقي قد يساعد الشاعر على خلق نفسه وتتميم رسالته ، والتغلب على الصدمات التي تعترض سبيله إذا كان فناناً . . . والناقد لا يحيط بمعاني العبقري إلا إذا كان ممن أوتوا من هذه العبقرية شيئاً . . والنعيمي هو صاحب فلسفة ومذهب في الحياة شامل ، تراه في كل آثاره . . ألم يحمل إلى جبران الثائر من هذا الطعام شيئاً ؟ ألم يكفه بشيء ؟

أنا أعتقد بأنه أثر فيه وإن أخفى النعيمي هذه الصفحة تواضعاً منه ، فجبران يوم كان يبعث بعواصفه المدمرة كان النعيمي يبشر بهذه الحياة الهادئة الساكنة . .

هذا هو كتاب « المصطفى » الذي يمثل الروح الشاملة المطلقة التي يبشر بها النعيمي ؛ هذه الروح التي تضم إلى صدرها كل شيء ، وتجعل صاحبها في أمن من الألم ، لأن الألم عندها مفقود ، وكيف يتألم من يؤمن بأن الحياة في كل حركة من حركاتها وفي كل سكنة من سكناتها ساعية دائبة وراء غايتها التي لا تحد !

(يتبع) خليل هنداوي